إلى القارئ

تدخل « الفكر » بهذا العدد سنتها السادسة أشد ما تكون ايمانا برسالتها الادبية وعزما على مواصلة كفاحها من اجل الخروج من التخلف الفكرى وبعث أدب تونسى اصيل يغذى الادب العربى ويثريه ، واثقة من عطف قرائها وتشجيعهم ، سواء فى تونس ام فى بقية بلدان العالم العربى الاسلامى •

واذا امكن ان نعتبر صدور هذه المجلة بانتظام مدة خمس سنوات نجاحا ونتيجة ربما لم تبلغها قط أية مجلة اخرى بهذه البلاد ، فان اشد ما يجب خشيته هو الغرور ، وحتى الرضا الكامل ، بل ينبغى ان يتضاعف شعورنا بالمسؤولية وان تشتد يقظتنا ويزداد مجهودنا لرفع مستوى المجلة بالتنقيص من اسباب الضعف وتحسس نقط الكمال والابداع و « استحقاق » ثقة القراء بـذلك •

ثم اننا سنحرص دائما على اجلاء معالم الشخصية الادبية التونسية باحياء تراثنا القديم ، واستئصال مركب النقص الذى يعانيه بعض ادبائنا او بعض مريدى الادب بهذه الديار ازاء الشرق او الغرب ، وبافساح المجال امام الشباب الذين يحملون قيما جديدة ويتمتعون بمواهب لاتنتظر الا التشجيع والصقل •

كما سنتمسك دائما بحرية الفكر التى هى شرط الادب الحق محترمين آراء الكتاب وشتى منازعهم ماداموا جادين ومدركين لتبعة الحرية التى تنفى الفوضى والسفاهة العقلية والمحبات الغالبة والعبث ، وكثيرا ما نشرنا مقالات وبحوثا لا نوافق اصحابها على كل او بعض مقدماتها ونتائجها لما لمسنا الصدق والاصالة والعمق ولكن احجمنا عن نشر بعض الكتابات الاخرى التى يحكى اصحابها — كالببغاوات — بعض مطالعاتهم السطحية او لم يتعدوا ان يعبروا فيها عما يقاسون من حرقة الغيرة او غصة العجز •

ومبدأ آخر لم نزل ولانزال متمسكين به هو السير ، ما امكن ، فى اتجاه الثورة الانسانية الخلاقة التى تجتاح البلاد التونسية والحرص على مقاومة قوى الرجعية وكذلك السعى فى ان تواكب هذه المجلة فى حدود مشمولاتها وامكانياتها الحركة التحريرية المباركة التى بفضلها قطعت تونس العزيزة اشواطا فى طريق الكرامة والحرية •

ستبقى « الفكر » مجلة الاديب الواعى المناضل من اجل رفعة الوطن وعظمة الانسان •

الفكر

هذه المعركة حول الشابي

بقلم الدكتور عمر فروخ

ارسل الينا صديقنا الاستاذ الاديب عمر فروخ هذه المقدمة لكتابه « أبو القاسم الشابي شاعر الحب والحياة » الذى سيصدر فى جانفى 1961 وأحب ان تنشر على صفحات « الفكر » ونحن نشكره على اعتنائه بمجلتنا وننشر له المقال عاملين دائما بحرية الفكر واحترام الآراء القيمة المخلصة مهما تباينت

الفكر

لما وقف أستاذى يوسف هل (1875 ــ 1950) رحمه الله يودعنى وأنـــا أهم بمغادرة ألمانية ، فى آب من عام 1937 ، قال لى : « اذا اطلعت على حملات عليك فى الصحف فلا تقرأها فى حينها . فاذا مضى على نشرها مدة ثم بـــدا لك أن تقرأها فافعل » . وسار بى القطار وأنا أسائل نفسى عن ذلك الذى سيحمل على فى الصحف بعد غياب عامين او يزيدان فى طلب العلم ، وعـــن الفائدة التى سيجنيها من وراء ذلك .

ووصلت الى بيروت فى شهر تشرين الاول (أكتوبر) فكنت أعرف مرة بعد مرة أن فى هذه الصحيفة وفى تلك المجلة تعريضا أو طعنا . وحفظــت وصاة أستاذى فكنت أقتنى تلك الصحف وأضم بعضها الى بعض . وبعـــد نحو عامين عثرت يدى بتلك الصحف فقرأت بعض ما جاء فيها فلم أجد فى الذى كتب ما يوجب الحنق أو الاسف أو الاهتمام . ولكنى أحسب أننى لـــو قـــرأتها فى حينها ، مع ما كـــان يحيط بهـــا من الملابسات ومـــا كان يمكن ان يقفز اليه الخيال لكان الامر مختلفا جدا .

وعرفت الحكمة فى وصاة أستاذى فجعلت تلك الوصاة قاعدة لى فى حياتى الادبية . ولم أجد من المستغرب أن يرد أحد الناس ، فوقى أو دونى ، على رأى لى ابديته او ان يطعن فى ذلك الرأى اوفى انا ، فلقد قال العرب منذ الزمن الإبعد : « من ألف فقد استهدف » ، وقالوا : « مامنا الا من رد ورد عليه » . غير أن النقد الذى وجه الى كتابى شاعران معاصران ، وهـــو الكتاب الـــذى سبق كتابى هذا : ابو القاسم الشابى شاعر الحب والحياة ، كان كثيرا متنوعـــا وكان أحيـــانا عنيفا .

أما النقد الذى كان عليه اجماع ، فهو أن دراستى لابراهيم طوقان فى شاعران معاصران كانت أوسع وأدق وأعمق من دراستى للشابى فى كل شىء ٠ غير أن الذين وجهوا الى هذا النقد لم يفاجئونى به قط ، فلقد قلت أنا من قبل (شاعران معاصران 5 ــ 6) :

« ولعل قارىء هذا الكتاب سيأخذ على اننى كنت اكثر تبسطا وتدقيقا فى دراسة حياة ابراهيم طوقان وشعره منى فى دراسة حياة الشابى وأشعاره ٠ ان سبب ذلك ظاهر :

« ان ابراهيم طوقان أخى وصديقى عشت واياه ست سنوات فى بلدى بيروت ، وسنة فى بلده نابلس ، وسنة فى بغداد ، ثم كانت بيننا فى أثناء ذلك مراسلة لم تنقطع منذ عرفته عام 1923 الى الشهر الذى سبق وفاته ، نيسان 1941 ٠ ولا تزال رسائله كاملة بين يدى أقلبها وانا أضع هذا الكتاب٠ وكذلك كان بين يدى ، وأنا أضع هذا الكتاب ، مجموع شعره بخط يده أو بخط أخيه الاستاذ أحمد طوقان منقولا عن نسخة بخط يده هو ٠

أما الشابى فلم اعرف سوى بعض شعره وبعض ما كتب عنه ، ولا يزال لدى مشاكل كثار فى حياته وأشعاره لم استطع حلها ٠ واذا كان بعض شعر الشابى المعروف مفروقا فرقين : فرقا قاله الشاعر قبل أن يبلغ العشرين وفرقا قاله بعد العشرين ، فان قصائد ابراهيم طوقان مؤرخة لدى بالعام وبالشهر وباليوم أحيانا ٠ حتى أن هنالك قصائد أعرف تطور نظمها من خطه هو فى رسائله الى ، أضف الى ذلك أننى أعرف الملابسات التى أحاطت بمعظم قصائده » ٠

ومن أوجه النقد الذى وجه الى « عدم الاطلاع على بيئة الشابى » ، وقد جاء هذا النقد طبعا من تونس :

فى 59/12/12 و 60/2/6 ألقى الاستاذ مصطفى البحرى فى مدينة صفاقس محاضرة على دفعتين عنوانها « الشعب فى شعر الشابى » ، « وقد صوب الاستاذ البحرى رأى من يقول بان الشابى كان هداما ولم تكن له رسالة بناءة ، أمثال الاستاذ فروخ » (1) ٠

وبعد الدفعة الثانية من محاضرة الاستاذ مصطفى البحرى جرت « مناقشات من طرف الشباب والاستاذة حول بعض الآراء التى ذكرها السيد البحرى كتحامل السيد عمر فروخ على الشابى الذى يقول به السيد المحاضر وصادقه عليه بعض الاساتذة فى الجملة ، وان كان بعض هؤلاء يرى أن ليس فى رأى الدكتور فروخ تحامل ، وانما هو عدم اطلاع على بيئة الشابى وظروفه وملابسات حياته » ٠

(1) الفكر ، فيفرى (شباط 1960) ص 89 ومارس (آذار 1960) ص 93 ٠

وكان السيد الهادى حمو (1) قد نسبنى مع السيد خليفة محمد التليسى (2) الى « التسرع والقساوة فى بعض مواقفى من الشابى » ٠

هذا الوجه من النقد مشابه فى الحقيقة للوجه الاول ، وقد سمعت أمثلة منه فى الاسبوع الذى قضيته فى الجمهورية التونسية (أيلول سبتمبر 1957) ٠ غير أن نصاب الامر ليس فى جهلى للبيئة التونسية ولا فى تسرع أو قسوة ، فأنا قد كتبت عن أمرىء القيس ولم أزر نجدا ، وكتبت عن ابن حزم وابن باجه وابن طفيل قبل ان ازور اسبانية والمغرب ، وكتبت عن ابى نواس وابى تمام قبل ان اذهب الى بغداد واسكن فيها عاما ٠ غير اننى الآن أستعرض أوجه النقد قبل أن آتى الى تعليلها فى آخر هذه العجالة ٠

أما قلة اطلاعى على بيئة الشابى الخاصة ، ان صح بالمقدار الذى يتوهمونه، فليس بقادح فى كتابى ما دمت أشرك نفرا كثيرين فى ذلك ٠ فى نيسان (أفريل) من عام 1958 — بعد ربع قرن من وفاة أبى القاسم الشابى — يقول البشير الزريبى (3) : « اننا لا نغالى فى شىء اذا ذهبنا الى ان شاعرنا الراحل لايزال بيننا مجهول المكانة » ٠ ولما أقيمت المهرجانات فى تونس لمناسبة مرور نصف قرن على وفاة الشابى كان المفروض أن يتكلم فى تلك المهرجانات الراسخون فى تاريخ حياة الشابى وفى علم شعره ٠ ومع ذلك فقد علق الشاذلى بويحيى (4) على هذه المهرجانات وما قيل عن الشابى بقوله :

« وهكذا تذوب فى نظر المدعوين الى تلك المهرجانات صورة الشابى الحقيقية بين أحاديث العجز مرة والجحود والتزييف أخرى ٠٠٠ وزادنا علما بمجهولية الشابى ما كان من صدى شعره — بل من عدم صداه بالشرق — وهو الغنم الوحيد الذى جنيناه من تلك المسامرات » ٠

وسواء أكان رد الدكتور محمد فريد غازى فى مجلة « الاذاعة على الشاذلى بويحيى — وأنا لم أطلع عليه — خارجا عن الحق واللياقة ، كما يقول فرحات الدشراوى (5) ، او لم يكن ، فان الكلام الذى قيل على جانبى الميدان يزيدنى اعتقادا فى أن المعركة ليست معركة حول شاعر اسمه أبو القاسم الشابى ٠

وعاد الشاذلى بويحيى فى العدد الثامن من السنة الخامسة من مجلة « الفكر » (6) ليجمع جرحاه فيما يبدو ، واسلابه من الميدان فقال : « غير

(1) الفكر ، جوان (حزيران 1957) ص 71

(2) مؤلف كتاب الشابى وجبران (طرابلس الغرب 1957)

(3) الفكر ، افريل 1958 ، ص 38

(4) الفكر ، ديسمبر 1959 ، ص 50

(5) الفكر ، جانفى 1960 ، ص 77 — 78

(6) الفكر ، ماى 1960 ، ص 2

أن العلم لم يقل بعد قوله الفصل ،.وكل ما كتب عن الشابى ليس الا مجرد اللهج بما فتن بـه الناس ، وهو ان دل عـلى شيء فعـلى ان الشابى لـم يـزل مجهولا • فهل آن أوان البحث العلمي الصحيح الذى نه ، وله وحده ، حق انزال الشابى منزلته بين أعلام الادب العربى أولا والبشرى آخرا ؟••• ثم ان العقبة الكأداء فى سبيل تناول هذا البحث التام عدم استقصاء الابحـاث (اقرأ : البحوث) الجزئية شتى نواحى الشاعر وشعره » •

ان الشاذلى بويحيى يمس نقطة هامة جدا من الاسباب التى بعثت هـذه المعـركة فى رأيى الذى سأعود اليه بعد قليل • ثم ان فى هذا كلـه دليلا عـلى أن دراسة حياة الشابى ودراسة شعره لم تخرجا بعد الى الدراسة المنظمة •

وهنالك نـوع ثالث من النقـد اراد اصحابه ان يناقشوا عددا من الحقـائق والآراء التى وردت فى كتاب شاعران معاصران • فى عـام 1958 أصـدرت السيدة نعمات أحمد فؤاد كتابا اسمه : شعب وشاعر : أبو القاسم الشابى • لا أعلم اذا كانت السيدة المؤلفة تؤمن بكل ما قالته وتؤمن بالاسلـوب التى قالت فيه ما قالته • قالت على الصفحة 62 من كتابها :

« ومن عجب أن هذا الفن (تقصد الغزل) لم يسلم مـن الغبن فكاتـب كالاستاذ فروخ لايكاد يسلم فى ص 188 بأن الغزل فن عظيم عند الشابى ، حتى ندم فى الصفحة المقابلة ، ص 189 ، وقال (أكثر هـذا الغـزل عـادى صريح ، ضعيف الخيال والبناء ، كثير التقليد) »

أما الذى قلته أنا فهو (1) : « على أن أوسع فنونـه الغـزل والسياسة • اماتأمله فى الحياة فمبثوث عادة فى هذين الفنين العظيمين من فنونه الشعرية ••واكثر غزل الشابى قاله قبل بلوغ العشرين ، وذلك امر منتظر • ثـم ان هذا الغـزل عادى صريح ضعيف الخيال والبناء كثير التقليد ، وهذا أيضا منتظر • وفى هذه الفترة ــ فى السنـوات الاخيرة قبـل أن يبلـغ الشابى العشريـــن مـن عمره ••• »

لقد كان اولى بالسيدة الناقـدة ان تتولى شيئا من الانصاف وتكـون احسن امانة ودقة فى النقل قبل النقد • اما كان الاجدر بها ان تقول كما قال السيد محمد الحليوى (2) : « فليس من العدل فى شيء أن تحكم على الشاعر بقصائد قالها فى سن الخامسة عشرة ••• »

وحملت السيد الناقدة على على الصفحات 78 ، 80 ــ 81 ، 114 من كتابها لاننى قلت ان الشابى كان قليل الاحتفال بالدين كله • أ ىظلم أو تحامل على الشابى فى قولى : « انه كان قليل الاحتفال بالدين » ، بينما رجال الدين فى بلاده كانوا قد كفروه وتكلموا فيه من على رؤوس المنابر ؟

---

(1) شاعران معاصران 188 و 189 •

(2) الفكر ، ماى 1960 ، ص 21 •

وحملت علي لأني قلت ان اسلوب الشابي ضعيف ، كأنها لم تقرأ له :

كل مـــا هب وما دب وما نام او حام على هذا الوجود

تلك القصيدة التي قال الشابي نفسه عنها انها سخيفة (1) . ثم الم تقرأ للشابي من اول حياته (2) :

ان السكينـــــة روح في الليل ليست تضام
والــروح شعلة نــور مــن فوق كل نظـام
لاتنطفـي بريـــاح الـــ ـارهـاق او بالحسام ...

ثم ان الرومانتيكية التي يقول أنصار الشابي أنه زعيمها الاول أو الصحيح تقوم على مخالفة العرب في ألفاظهم وتراكيبهم واستعاراتهم (3) ، فكيف يمكن بعد ذلك أن يكون أسلوب الشابي جاريا على أساليب العرب في المتانة ؟

وحملت على السيدة النقادة لانني تمنيت ان لو حذف الشابي شيئا من الاشعار طوى عليها ديوانه (4) . وقد راينا قبل اسطر كيف ان الشابي عد بعض شعره سخيفا ، وكيف أنه من اجل ذلك عكف على اختيار شعره . فديوان الشابي الذي بين ايدينا مختارات (5) . وما دام الشابي قد حذف شيئا من شعره ، فما المانع في أن يزيد في هذا الحذف ويخلي ديوانه من الاشياء السخيفة كلها ؟ فما الداعي ، اذن ، الى تلك الحمية حمية الجاهلية الاولى والى هذا الانفعال في قول السيدة نعمات احمد فؤاد (ص 114 ــ 115) : « هذا هو ديوان الشابي الذي رفعه قوم الى سماء الخلود ، وحكم عليه او على بعضه آخرون بالاعدام ــ أي والله بالاعدام ! فالاستاذ فروخ ــ مثلا ــ يرى (أن ديوان الشابي لايجوز أن ينشر كاملا بل يحسن أن ننشر منه مختارات فقط) » . وهنالك أربعة مئاخذ أخرى للسيدة نعمات أحمد فؤاد على كتاب شاعران معاصران لا تخرج عن هذا النطاق .

وتتبع الاستاذ محمد الحليوي علي عددا من المئاخذ .

---

(1) من رسالة له الى محمد الحليوي (الفكر ، اكتوبر 1956 ص 12)

(2) ديــوان 16

(3) شاعران لمصطفى رجب ، راجع ص 59 وما بعدها

(4) شعب وشاعر 114 ــ 115

(5) راجع الديوان 13 يقـول محمد الحليوي (الفكر ــ جويلية تموز 1960 السطر السابع من اسفل ومـا بعده) : « ان الشابي لا يدلـه في الاختيـار فليس هو المسؤول عما اختير له من الشعر . والدليل على ذلك أن الشابي لم يكن راضيا عن شعر صباه هو حذفه له في المسودة التي اعدها لطبع ديوانه ».

وفى ايلـول (سبتمبر) من عـام 1957 كنت فى تـونس وزرت القيروان وفى القيروان زرت الاستاذ محمد الحليوى فى ديوانه ـ ولم أكن قد لقيتـه من قبل ـ وأحببت فى أثناء الحديث أن أجر الكلام الى الشابـى ، ولكنـى شعرت أنه يريد أن يتجنب الكلام فى ذلك ، وأن رأيه فى الشابى مخالـف لرأيى فى كتابى • وكانت الزيارة ودية وأهدانى الاستاذ الحليوى نسخـة من كتابه مع الشابى •

والذى اتفق أن الاستاذ محمد الحليوى رأى ان ينشر مئاخذه عـلى كتاب شاعران معاصران فى مجلـة الفكـر (1) ، فنشرهـا بعنـوان صور غـريبة للشابى ، وسأعرضها أنا فى ما يلى على غاية من الوجازة :

(أ) رسالة الشابى : أنا أرى أن الشابى كان ناقدا هداما لا ناقدا صاحب رسالة ، والحليوى يخطئنى فى ذلك • ولكن ديوان الشاعر بين أيدينا ، وليس فيه الا نقمة على أهل تونس وعلى البشر أجمعين • ثم لما أقيمت مهـرجانات الشابى فى القطر التونسى ألقى الاستاذ مصطفى البحرى محاضرة فى نادى الاتحاد الثقافى فى صفاقس « صوب فيها رأى من يقول بأن الشابى كان هداما ولـم تكن له رسالة بنـاءة » (2) ، فانا لست وحدى فى هذا الباب ، لاخـارج تونس ولا فى تونس نفسها •

(ب) فقره وغناه • وأخذ الاستاذ الحليوى على قولى بفقر الشابى • ولعـل والد الشابى كان أغنى مما توهمت ، ولكن حياة الشابى فى الزيتونة ثـم حياته بعد وفاة أبيه لم تكونا ناعمتين •

(جـ) مرضه • وقلت أنا عند الكلام على مرض الشابى : وسواء أكان مرضه قلابا أم سلالا ••• فرد على الاستاذ محمد الحليوى بقوله : « إن الشابى لـم يكن رجلا مريضا فى كل حياته ، بل كان بدء شكواه من المرض فى السنوات الاخيرة من حياته ، أى بعد وفاة والده على وجه التحديد » • غير أن الذى نعرفه أن الشابى ذهب الى استشارة الدكتور محمود الماطرى برفقـة زيـن العابدين السنوسى فى عام 1928 ، قبل وفاة ابيه ، وكانت حال قلبه منـذ ذلك الحين خطيرة • ويبدو أن حالة قلبـه بـدأت تسوء منـذ كان طالبـا فى الزيتونة ، كما أن مرض الشابى كان مرض نشأة ، رافقه فى الاغلب منـذ صغره (3) • ومع العلم اليقين الآن بان الشابى مـات متأثـرا بتضخم القلب ،

---

(1) السنة الخـامسة ، العدد الثـامن (مـاى ـ ايـار 1960) ص 18 ـ 21 ـ والعدد العاشر (جويلية ـ تموز 1960) ص 12 ـ 15 •

(2) راجع رسالـة السيد محمد الشعبونى من صفاقس (الفكـر ، مـارس آذار 1960 ، ص 93) •

(3) راجـع مقال الاديب الدكتور محمد فـريد غـازى « مـرض ابى القـاسم الشابى » (الفكر ، ديسمبر 1959 ، ص 26 ـ 34) •

فان الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور يقول فى عـام 1956 عن الشابى (1) : « فاذا جراثيم السل تهجم وتستقر بكلتا رئتيه » • وكذلك يقول عـامر غديرة في مقـاله القيم « محاولة جعل اطـار لتـرجمة الشابى » (2) : « ويمر شهـر سبتمبر (ايلول من عام 1934) وتتتابع الايـام والنـاس يتساءلون عن علته : أداء السل أم مرض القلب ؟ »

فالشيخ محمد الفاضل ابن عاشور يذكر السل وحده ، وانا كنت قد عكست تساؤل الناس ولم ارجح السل او تضخم القلب ، لانني مـؤرخ ولست طبيبا • ولكن لما وصل احد الـدارسين من سجل المستشفى الى ان الفحص الطبى قـد ذكر العلة مرضا فى القلب لم يبق فى وسع الدارس والمـؤرخ الا ان يقـولا بمـا ذكر الطب •

(د) حياته الزوجية • كنت ذكـرت ــ ولا ازال عند رأيى فى هذا الامـر ــ أنا ابا القاسم الشابى كان بائسا فى حياته الزوجية • ومع العلم بأن نفرا من أصدقاء الشابى يقولون بأن الرجل كان سعيدا ، فان غيرهم يرى غير ذلك • ثم ان جميع القرائن تدل على ان زواج أبى القاسم الشابى كان كارثة جسمانية ونفسانية معا • وليس من المعقول أن يكون الانسان سعيدا فى زواجه ثـم يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء • وانا احتـرم راى الاستاذ محمد الحليوى كما أحترم رأى المخالفين له •

(هـ) حبه • ويلحق بحياة الشابى الزوجية حبه • ان محمـد الحليـوى وخليفة محمد التليسى مؤلف كتاب « الشابى وجبران » ومحمد بدرى مؤلف كتاب « الشاعران المتشابهان » يقولون بأن الشابى كان يحب حبا روحانيا • اما زين العابدين السنوسى ــ موضح سر ابى القاسم الشابى ــ وعامر غديـرة وسواهما فيعتقدون أن أبا القاسم الشابى قد أحب حبا عاديا كمـا يحـب الناس العاديون • والديوان يصدق هؤلاء لا أولئك • ويبدو أن السيدة نعمات احمد فؤاد قد صرحت فى التعبير عن هذه المشكلة فقالت (شعب وشاعر 60) :

« وناقد آخر يرى أن (الشابى لم يكن يحب حبا ماديا يبغى به قضاء وطر أو وصال حبيب ••• بل كان قلبه يخفق بحب روحى علوى يتمثل له فـى مشاهد الطبيعة الساحرة وفى مناظرهـا البهيجـة • ولكنـى مـن دراستى الموضوعية اقف الى جانب الراى القائـل بان الشابى كان يحب امـراة بعينهـا رفع اليها صلواته فى هيكل الحب • فهذه الحرارة والدفق والبهـر لاتنبعـث جميعا ، وبهذه القوة والعمق والذهول ، الا من قلب عميد ••• »

ويقف الاستاذ محمد الحليوى من هذه القضية موقفا غريبا جدا !

(1) الحركة الادبية والفكرية فى تونس ، ص 178

(2) احببت ان استغنى عن ذكـر المراجع مـا امكن تخفيفا ، لان ذكـر هذه المراجع فى الحواشى جاء وافيا فى كتابى الذى سيصدر قريبا : الشابى شاعر الحب والحياة •

يحمل على الاستاذ الحليوى لانى لا أقول بأن حب الشابى كان حبا روحيا بل ، حبا ماديا • قال فى السطر الثالث من الصفحة العشرين من مجلة الفكر (ماى 1960) : « وبمناسبة حديثه (يقصد حديثى انا) عن قصيدة صلوات فى هيكل الحب يقول اننا نرى فى هذه القصيدة حبا جديدا لفتاة جديدة فى حياة الشاعر ، ويعارض أبا القاسم كرو الذى يرى أن هذه القصيدة قالها الشاعر فى فتاته الاولى » • ثم يقول الاستاذ محمد الحليوى على الصفحة نفسها ، ابتداء من السطر الرابع من أسفل : « على أن الذى أوقع الكثيرين فى الغلط فى خصوص هاته المسألة انما هو قصيد صلوات فى هيكل الحب ••• الذى رأى فيه الدكتور فروخ وغيره حبا جديدا للشاعر ، بينما رآه آخرون ومنهم الاستاذ كرو أنه قيل فى فتاته الاولى • والحقيقة أن الشابى استوحى هذا القصيد ، حسبما ذكر لى ذلك شفويا ••• من فتاة انكليزية كانت قد أقامت مدة بتوزر لتصوير بعض مناظر المدينة وواحاتها ، على نحو ما يفعل الفنانون الاجانب فى بلادنا • فرآها الشابى تغدو وتروح وتقبل وتدبر فاستولى جمالها وشبابها على مشاعره فرفع اليها تلك الصلوات ••• »

وهنالك فى مقال الاستاذ محمد الحليوى أمور كثار أخرى تجرى هذا المجرى ، أو قريبا منه جدا ، فلا جدوى من اطالة الكلام بتعدادها والرد عليها • ولكن الذى لفت نظرى وأثار دهشتى أن معظم الذين كتبوا فى حياة الشابى وشعره يحملون سيفين ويقاتلون الناس • ثم هم يسلكون مسلكا عنيفا فاجا فى ذلك كله • وهب أن محمدا الحليوى الذى كتب عام 1960 ، بعد أن قرأ لنفر لم يحرقوا بخورا فى هيكل الشابى ، معذور فى حملته القاصفة ، وأن السيدة نعمات أحمد فؤاد التى كتبت فى عام 1958 ، فى مثل الجو الذى كتب فيه الاستاذ الحليوى ، معذورة أيضا ، فما بال الاستاذ أبى القاسم محمد كرو والاستاذ مصطفى رجب • ألا يستطيع الاستاذ مصطفى رجب أن يكتب عن الشابى من غير أن يستعمل التعابير التالية : الشابى تحدى الخليل بن أحمد وأتباعه — الشاعر العربى يناطح القوافى — فليس هنالك شيطان رجيم ولا ملك كريم — اشمأزت وتقززت — اناس يضعون اقدامهم على عتبة الكتابة ؟ اليس بامكانه ان يكتب عن الشابى من غير أن يحمل على الشعر العربى حملة منكرة : أصحيح أن القصيدة القديمة ، كل قصيدة قديمة كشكول ؟ وأن كل قصيدة حديثة رومانتيكية ليست كشكولا ؟ أصحيح أن الشاعر العربى ، كل شاعر عربى ، كان سطحيا قصير النظر الى الاشياء ؟ أصحيح قول الاستاذ مصطفى رجب (شاعران 87) : « خبرونى ، يا سادة ، أى شاعر عربى يستطيع أن يحدثكم حديثا مغريا صادقا ••• بل أى شاعر عربى يستطيع أن يحدثكم حديثا شعريا صادقا عن نشوة الحب ••• واى شاعر (عربى) يقدر ان يحدثكم عن الامل ؟ اصحيح ما يقوله الاستاذ مصطفى رجب (ص 92) : « كأنما (الشاعر العربى) آلة حاكية ليس لها من النفس البشرية حظ ولا نصيب ؟ »

أصحيح ما يقوله خليفة محمد التليسي في كتابه « الشابي جبران » (ص 124 وما بعد) أن الشعر العربي لم يعرف الزوجة الوفية والاخت الحنون والام الرؤوم » ٠

ما الذي حمل أبا القاسم محمد كرو على أن يقول في كتابه الصغير المختصر « كفاح الشابي » ، بعد أن أصدر طبعتين من كتابه الكبير المفصل (بالمختارات على الاقل) « الشابي » : « كان الشعر العربي لا يحفل بالمجرى الانساني الرفيع لحياة الانسان ولا يزيد عن خواطر عابرة ٠٠٠ أما بعد ظهور الاسلام وانتشار العرب في انحاء العالم القديم واختلاطهم بأقوام حضارات قديمة ٠٠٠ واذا كان العرب قد أبدعوا في أيام شباب حضارتهم في الشرق والمغرب ، ٠٠٠ فان الادب عامة والشعر منه بوجه خاص قد احتفظا بروحهما القديم ، فلم تتغير أهداف الشعر ولا رسالة الشاعر ، وظل الشاعر (العربي) **مهرجا كبيرا يحرز قصب السبق في المبالغة والكذب** ٠٠٠ ومن المؤسف حقا أنهم (يقصد العرب) لم يعرفوا الشعر الا بقولهم : الشعر هو الكلام الموزون المقفى ٠ وبالرغم من ذلك كله فقد وجدنا محاولات كريمة للتحرر من هذه المفاهيم المنحرفة والطرائق المحنطة ، فقد ثار عليها بشار وأبو نواس ، وكذلك فعل المعري وأبو الطيب المتنبي ، وان حرق هذا الاخير عبقريته الباهرة بخورا عند أقدام العروش وقضى حياته الغالية ينظم المدائح الرخيصة ويسجل تاريخ فرد واحد في مبالغة مكشوفة وكذب فاضح ، بينما الملايين من أفراد أمته تأكل الحرمان وتعيش على الصبر الكئيب والمسغبة الحزينة وتتعزى بأفيون الغيبيات القاتل وثواب الله في جنة الخلد » (1)

بهذا الكلام افتتح أبو القاسم محمد كرو كتابه « كفاح الشابي » ، وأنا لا أحب أن أتوسع في الاستشهاد خوف الملل ٠ وقد تركت الاماكن التي يذكر فيها الاستاذ كرو « القماقم والجحور والاقزام والافكار العفنة والضمائر النتنة » ، أو شيئا مثل هذا ، كما تركت الحملة على رجال الدين والدنيا ورجال العلم والادارة في تونس حبا بالاختصار ، ولان ما ذكر دال على ما لم يذكر ٠

❀❀❀

ورجعت البصر في ما كتب في الشابي ، مما وصلت اليه يدي ، فرأيت كثيرا منه لا صلة له بالشابي ، وأن دراسة الشابي قد تستقيم على وجه أسلم لو استغنى نفر من الدارسين عن تلك الحواشي التي يظن بها انها تزيد طريق دراسة الشابي نورا فاذا هي تزيدها ظلاما ٠ وقد وضح لي ، في حل هذا اللغز ، ان صدق حدثي ، ان واحدا من هؤلاء الدارسين بعثي ، وثلاثة من القوميين العرب ، واثنان من الغربيين ٠ ولا ضير على الانسان ، في رأيي ، أن يكون بعثيا أو شيوعيا ، قوميا عربيا أو قوميا سوريا ، تحريريا أو من الاخوان المسلمين ، ما دامت الفلسفة السياسية حق شخصي متصل بحرية

(1) كفاح الشابي 11 ــ 13 ٠

الفرد ، وما دام الانسان — من الناحية النظرية على الاقل — لا يستطيع أن يعيش بلا لون اجتماعي في هذه الحياة • ولكن من غير المعقول والمألوف في عالم البحث والحقيقة ان يقحم الانسان رايه السياسي في دراسته العلمية أو الادبية وحيث لا مدخل لمثل هذه السياسة • والعجيب ، أو مما ليس بالعجيب ، ان يشرك بعض هؤلاء الدارسين الستة الذين عنيتهم بعضا في الامور التالية :

1 — تسويد صفحة الادب العربي القديم وتزيين الادب الغربي •

2 — التهكم بالحياة العربية الحاضرة ، في الدين والاجتماع والحضارة ، والاعجاب بالحياة الغربية •

3 — النفرة من أساليب العرب المألوفة وتحبيب اللجوء الى الالفاظ والتعابير القريبة من العامية •

4 — طي العنصر الوطني القومي ، بالمعنى المألوف ، وبالاضافة الى المجموع الذي ينتمي اليه الفرد ، والالحاح على ابراز العنصر الانساني في الفرد •

5 — وصم الدين ، والمقصود بالدين هنا الاسلام ، بالرجعية ، بينما هم يتساهلون في أمر الصور والخرافات الوثنية على اعتبار أن ذكر هذه في الشعر يرجع الى الناحية الفنية في الادب •

6 — رفع مكانة الشابي بالحط من معاصريه ، ومن الذين سبقوا عصره او جاءوا بعد ذلك •

7 — اتخاذ دراسة الشابي وسيلة الى مهاجمة المؤسسات الاجتماعية في الاسلام والشرق الحديث ، بقطع النظر عما اذا كانت مهاجمة تلك المؤسسات في ذاتها صوابا أو غير صواب •

8 — استعمال كلمات وتعابير ليس من حسن الخلق ولا من اللياقة استعمالها في تلك المواضع •

9 — الاستطراد من الكلام على الشابي الى الحملة على الادباء العرب ، من امرىء القيس مرورا بالمتنبي الى الشاذلي خزندار وأحمد شوقي ، سواء أكانت الحملة في نفسها حقا أو باطلا •

10 — النظر الى أدباء المهجر على أنهم نموذج الابتكار والرومانتيكية ، وعلى أنهم أساتذة الشابي : الى حد تنبه الشابي الى محاسن الرومانتيكية أو الى حد الاستعباد للادب المهجري •

وأنا لا أدفع أبا القاسم الشابي عن حقه من العبقرية ، ولا عما في شعره من القيمة بالاضافة الى شعر معاصريه ، ولكني أرى أن هذه المغالاة في تفخيم أمر الشابي راجعة في جذورها الى الاتجاه الغربي الذي خلفه الافرنسيون في تونس ، والا فان في محاسن الشابي كفيلا بتبوئه مكانا مرموقا بين الشعراء المجددين في العالم العربي ، من غير حاجة الى حملة على الاسلام

والعروبة ، بالمفهوم المألوف • وأنا لا أنكر أن النفر الذين كتبوا في الشابي ونوهوا بالادب الغربي (بالغين المعجمة) يعرفون اللغة الفرنسية أو الايطالية ويستكثرون من أسماء الادباء الاجانب منذ عهد اليونان الاول الى جان بول سارتر ، ولكن كتاباتهم لاتبرر الاعتقاد بأنهم عرفوا أولئك الادباء الذين سموهم معرفة وثيقة •

أما هذه المعركة على الادب القديم فقد افتتحها أبو القاسم الشابي نفسه بمحاضرته « الخيال الشعري عند العرب » • وأنا لم أحصل على نسخة من هذه المحاضرة لا في شكلها الاول ولا في شكلها الثاني كتابا مستقلا • ولكني أستطيع أن أقول ، بالاستناد الى المقتطفات التي مررت بها في عدد من الدراسات عن الشابي ، أن هذه المحاضرة كانت في شكليها ردا على كتاب « الخيال في الشعر العربي (1) » ، لمحمد الخضر حسين التونسي المولود في نفطة ، على مسافة يسيرة جدا الى الغرب من توزر •

على أني لا أود أن يفهم عني أنني أصم نفرا من الذين درسوا أدب الشابي بوصمة سياسية ، فانني لم اقصد ذلك • ولكن الذي قصدته ان في تونس وفي المغرب وفي لبنان أيضا اتجاهين أو أكثر : من هذه الاتجاهات الاتجاه الغربي ، وهو اعتقاد نفر من الناشئة في الاكثر « أنهم يجب أن يحيوا في كل شيء حياة عصرية واقعة ، وأن كل تمسك بقديم أو محافظة عليه يبعدهم عن ثمرات هذه الحياة التي يتمتع الغربيون بها » • وبما أن الشابي يفتح المجال بشعره الى التعبير عن هذا الاتجاه ، من غير ان ينكشف اللون السياسي عند الباحثين ، في بلاد لاترضى عن ألوان سياسة معينة ، فقد اندفع هؤلاء الى ديوان الشابي واتخذوه ذريئة يناضلون باسمه ومن ورائه • من أجل ذلك نرى المعركة حامية الوطيس حيث لا ضرورة الى معركة قط !

وأود أن أقطع الكلام هنا لئلا أذكر تفاصيل لا حاجة بي اليها ، وليس هذا الآن مكانها • وأنا أعتقد أن هذه المعركة لاتفيد الشابي لانه لن يستفيد من غنائمها ، ولان هذه المعركة ستتوقف اذا حقق نفر من القائمين بها بعض المكاسب التي يرجونها • ففي عام 1957 تخلى احد المناضلين عن موقفه في الميدان وأخذ في تدريس التاريخ ، كما يجب أن يدرس التاريخ ، في ما يبدو لي !

جديتا ــ شتورا (لبنان) 1960/8/20

الدكتور عمر فروخ

---

(1) بنفقة وعناية المكتبة العربية في دمشق لاصحابها عبيد اخوان ، وطبع مصر 1340 ــ 1922 •

فى الخلق الأدبى

بقلم البشير المجدوب

الادب حالات وأطوار • قد يكون ثمرة المعاناة الشاقة بل الصراع العنيف مع الموضوع فكأنما الكاتب اذذاك ينحت من قلبه وهو اشبه بالمثال يقارع الصخر بالازميل يجهد ان يهبه شكلا ومعنى • فكانه فى دجنة يتحسس طريقه ، لايهتدى اليه الا لماما • سيرا وئيدا بطيئا • ان آنس من الموضوع امكانا تصدى له وشد عليه شدا واذا وجد منه تعذرا او شموسا أدبر عنه الى حين • وهكذا كر وفر • حرب سجال • تعنت واصرار • رغم وطأة الضجر وتوالى الاخفاق • لاينى يعالجه يتمرس به حتى يذل له وينقاد ويضىء الطريق ويتضح الهدف والغاية فيفىء الكاتب الى الراحة ساعة كمن تسنم عقبة كاداء ويطمئن الى نهاية المسعى وسلامة الطريق •

وصف القدامى هذه الظاهرة على طريقتهم فشبهوا الشاعر حينا بالصياد يترصد لطريدته يخاتلها يراوغها مراوغة يسهر الليل جراها ويصطبر

أبيت بأبواب القوافى كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعا
أكالئها حتى اعرس بعدما يكون سحيرا او بعيد فأهجعا

وشبهوه حينا أخر بصاحب الثقاف يعكف على قناته يسويها حتى تخرج من يده رمحا سويا أنيقا

وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منئادها

كما انه شبه بالراعى الحاذق اللبيب لاتعييه سياسة القطيع الوافر الضخم على ما يلقى فى ذلك من عناء وجهد • قال بعضهم فى هذا المعنى يصف مظهرا من عملية الخلق الادبى :

« ينبغى لصانع الكلام ألا يتقدم الكلام تقدما ولا يتبع ذناباه تتبعا ، ولا يحمله على لسانه حملا ، فانه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه • وان تتبعه فاتته سوابقه ولواحقه ، وتباعدت عنه جيادة وغرره•

وان حمله على لسانه ثقلت عليه اوساقه وأعباؤه ، ودخلت مساويه فى محاسنه • ولكنه يجرى معه فلا تند عنه نادة معجبة سمنا الا كبحها ولا تتخلف عنه مثقلة هزيلة الا أرهقها • فطورا يفرقه ليختار أحسنه ، وطورا يجمعه ليقرب عليه خطوة الفكر ، ويتناول اللفظ من تحت لسانه ولا يسلط الملل على قلبه ولا الاكثار على فكره • فيأخذ عفوه ويستغزر دره ، ولايكره أبيا ، ولا يدفع أتيا • »

كل ذلك يشير الى ما يلقاه الكاتب أحيانا من العنت والضيق فى ابراز الأثر الفنى من معدنه والى ضرورة الجمع ـ اذ ان للكتابة سياسة خفية المعالم متشعبة المسالك ـ قلت ، الجمع بين الحزم والرفق واليقظة والتمهل مع اتقاء التعسف والاستكراه •

ذلك أنه يتحتم عليه جمع المتناقض وتاليف ما لايتفق : أن يفى معا لذاته ويتجرد منها ، ويصغى الى نفسه ويعرض عنها • أن يعطف مثلا على جدران البيت الموحش الخالى فيمنحها حسا وبيانا • ويترقى الى الشمس فينفث فيها عشقا وهياما • بل أن يغازل القمر استظرافا ويداعبه فضولا • أن يعمد الى اللفظ المألوف العادى ، الصامت الكابى فيطلقه من يده مرفرفا وقد دق ورق وغنى ونطق •

وقد تكون الكتابة ضربا من التوفيق والهداية يعطى الفنان الوحى جما ولم يسأل ولم يلح فى السؤال ينصب عليه العطاء جزلا فيحار فى تناوله وجمعه

أذود القوافى عنى ذيادا ذياد غلام جرىء جرادا
فلما كثرن وعنينه تخير منهن شتى جيادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درها المستجادا

ومن غريب ما يتفق لرجل الفن أن يعمل أحيانا وهو فى نصف عتمة ، فى شبه غيبوبة وذهول فيقع على المعنى البديع والصورة البكر ولا يطرب لهما حق الطرب شأن الاعمى يهتدى الى ضالته دون أن يشعر ، أو كمثل الرجل يعثر على كنز فيبقى فى ريب من امره لايطمئن الى قيمة ما وجد ، يحد من سروره يلجمه الجاما حتى اذا ما لجأ الى الصيرفى قرت نفسه وحسن ظنه ورسا يقينه

ويسىء بالاحسان ظنا لاكمن يأتيك وهو بشعره مفتون

البشير المجذوب

رجال الاصلاح بتونس

في القرن الثالث عشر هجري

بقلم محمد الصادق العامري

تمتاز تونس في القرن الثالث عشر هـ عن سائر الامم الاسلامية عموما والشرقية خصوصا بظهور حركة اصلاحية اصيلة بعيدة الغور عميقة الاثر واسعة النطاق تستمد زخارتها وفيضها من تجربة ومواهب رجال تنبهوا قبل غيرهم للاخطار المحدقة بالمخلفين من الامم المستسلمة النائمة في ميادين الجلاد ٠

وخيرالدين باشا التونسي وان كان درة عقد هذه الحلقة المباركة الاصلاحية وقائد ذلك الرعيل وحادي الركب الاصلاحي فقد كان يقوم بجانبه رجال أفذاذ صدقوا ما عاهدوا الله عليه شعارهم تمجيد الاصلاح بالدعوة اليه والتنفير من التخلف عن قافلة الحياة الحديثة ومقاومة كل رجعية اثيمة كانت تقف بالمرصاد في طريق النهوض تصد الناس عنه ٠

فكان رائدهم السير قدما بالبلاد الى شاطيء النجاة في تؤدة ورفق ٠ وكان من أبرز رجال الاصلاح في هذا العهد الاديب العبقري والشاعر المجيد محمود قبادو وتلاميذه ٠ وقد اشتهر من بينهم ابو حاجب وبيرم ومحمد السنوسي وما اليهم من رجال ذلك العهد الذين آلوا على انفسهم أن يخدموا تونس بافكارهم واقلامهم وتاليفهم مما حمل اولئك الرجال على الامعان في الدعوة والتضحية بكل نفيس في سبيل نجاحها فكان الشيخ السنوسي يحبر الفصول الطوال في الرائد (الجريدة التونسية الرسمية) على اساليب ممتعة ملائمة تفيض عطفا وحماسا في الدعوة الى الاصلاح ٠

كان خير الدين ومعاونوه يقضون اوقات الفراغ في خلق جو يلائم ووسط يعين على الاصلاح ويوسع دائرته ويتفهم اسباب الفلاح فيعمل على نشرها ويتأمل في علل التقهقر والتأخر فيجتنبها ٠ وكان من جراء ذلك صدور النشرة الاولى الاصلاحية في كتاب اقوم المسالك الذى قال مؤلفه في فاتحته : اني بعد ان تأملت تأملا طويلا في اسباب تقدم الامم وتأخرها جيلا فجيلا مستندا في ذلك لما أمكن تصفحه من التواريخ الاسلامية والافرنجية مع ما حرره المؤلفون من الفريقين فيما كانت عليه وآلت اليه الامة الاسلامية وما سيؤول اليه امرها في المستقبل بمقتضى الشواهد التى قضت التجربة بأن تقبل النجاة الى الجزم بمالا اظن عاقلا من رجال الاسلام

يناقضه او ينهض له دليلا يعارضه • من انا اذا اعتبرنا تسابق الامم في ميادين التمدن وتحزب عزائمهم على فعل ما هو أعود نفعا وأعون لايتهيألنا ان نميز ما يليق بنا على قاعدة محكمة البناء • لابمعرفة أحوال مـن ليس من حزبنا ، لاسيما من حف بنا وحل بقربنا • ثم اذا اعتبرنا ما حدث في هذه الازمان من الوسائط التى قربت تواصل الابدان والاذهان ، لم نتوقـف ان نصور الدنيا بلدة متحدة تسكنها أمم متحدة ، حاجة بعضهم لبعض متأكدة وكـل منهم وان كان في مساعيه الخصوصية غريم نفسه فهو بالنظر الى ما ينجر بها من الفوائد العمومية مطلوب لسائر بنى جنسه » • الخ

ويتخلص مؤلف اقوم المسالك الى البحث عن الاصول التى تتمكن الشعوب بها من التخلص من الفوضى والجهل والفاقة وتسير قدما في ميادين التقـدم الى بلوغ الغاية المنشودة للمجتمعات البشرية في اثناء سيرها الطويل الشاق المحفوف بالاخطار المهدد بالآفات •

ومما يلفت النظر أن في الفقرة الاخيرة من خطبة أقوم المسالـك هبـوب نسيم من الروح الجديدة الذى استيقظ في الادمغة بعد ركـوده الطويـل • وخلو الاذهان منه الا وهو تضحية الفرد لصالح المجتمـع وقد ايد الادبـاء والادب في هذه الفترة هذه الروح الجديدة كما سيأتى وقـد نجحـت هـذه الحركة اعظم نجاح فكان محمد بيرم الخامس مؤلف صفوة الاعتبار اول كاتب تونسى جاهر بشاراته الاصلاحية بدون مواربة وكان هو وصحبه يجـاهدون جهاد الابطال في مقاومة الجهل ويدعون الى نشر المعرفة بين طبقات الشعـب التونسى بتاييد تاسيس المدارس ونشر الكثير مـن التاليـف التونسيـة بالمطبعة الـرسمية التى نشرت الكثير من التاليف التونسية وتقـدم حـركة متسعة النطاق في اصلاح أساليب التدريس وطرق الحكم •

وقد كان الكاتب احمد بن أبى الضياف من اكبر محبذى الاصلاح والداعين اليه والمقاومين للرجعية • كان ينقد الرجعيين نقدا عنيفا حتى انه لم يسلم من قلمه عالم تنكب الطريق القديـم او امير انحرف عن سواء السبيل ودون ذلك في كتابه الحافل المعروف باتحاف اهل الزمان •

كان هؤلاء المصلحون يرون انذاك ان المنقذ الوحيد للشعب التونسى مما وقع فيه من مظالم البايات لايكون الا على طريق توسيع دوائر المعرفة بتمهيد طرق الثروة من تحسين وسائل الزراعة والتجارة وانعاش الصناعة وبالتالى محاربة اسباب البطالة في البلاد • ولاول مرة فـي تاريـخ الادب التونسى نصغى الى الاديب التونسى فاذا هو يتنكر للانانية وللاسلوب الذى انتشر

اخيرا بين الناس من الامعان - فى محبة النفس ويعد العالم الذى يستأثـر بعلمه لفائدته جانيا وأثيما وان الفخر كل الفخر فى خدمة الاوطان .

ولعل هذه الروح نشأت عند استفحال الحضارة ونزوع الناس الى المادة وامعانهم فى الاستئثار وتغاضيهم عن الصالح العام الذى كان فى نظر الشريعة الاسلامية مقدما على الصالح الخاص ولذلك كانت الفروض الكفائية فيها افضل من الفروض العينية لان الفروض العينية قاصرة والاخرى متعدية كما يعلم ذلك المطلعون على اسرار التشريع الاسلامى فى تفاوته وصفائه فلا غرو ان نادى المصلحون بذلك ونصغى للشيخ السنوسى فاذا هو يهتف بالشعب فى اخلاص قائلا :

واذا الفتى بالعلم يقصر همه   لمفاده فنراه اعظم جانى
واخو السداد فتى يجاهد نفسه   طول الحياة لخدمة العمران
فحياته تفنى وزبدة سعيه   يبقى بها فخرا لكل زمان
هل فيك ياحلف المدارس غيرة   منها وصلت لمدين الاتقان
او هل قصدت لنفع جنسك غاية   تبقى بسلك غرائب الحدثان
او هل لجدك من مئاثر نفعها   عم البلاد بمنبت الاحسان
فاشكر غراسة ماجنيت ثماره   واردد بغرسك مايطيب لجانى
فاذا فقدت فان قومك كلهم   يسعى لينفع أنجب الاقران
لايهملون صنيعك المشهود ان   تأتى عليه عناكب النسيان
بل ما توانى عن اعانتك امرؤ   الا وضيع أو جهول شانى
ومفاخر العصر الجديد معارف   فيمن يقوم بخدمة الاوطان
أو حسن تنشيط العزائم من فتى   له خبرة بمزية العرفان
وبمثل ذاك تقدم المتسابقو   ن الى العلى فى واسع الميدان
فانشط ولاتك عند قرنك عبرة   لاضاعة الازمان بالخسران
حاشا فتى ذا نهية باتت له   شمس الهدى ينقاد للعميان
والجد يبلغ كل ذى عقل الى   مايرتجيه بمنعة المنان

ولكن الهيمنة الاروبية والمطامع الغربية كانت قد قطعت شوطا بعيدا وبلغت أنذاك الاشد وكادت تغمر الشرق فوقفت أمام هذه الحركة الاصلاحية المباركة تكيد لها وتنال من رجالها وتجعل لها حدا ومن توقل اعلى قمة فى ذلك العهد بتونس شاهد بعينى رأسه اعوان الاستعمار يعرقلون كل حركة ويحدثون فى كل لحظة مشكلة الى ان فوجئت البلاد بذلك الحادث العظيم الذى قلب لها ظهر المجن ورجع بها القهقرى وقضى على جميع ما اشاده المصلحون وضحى من اجله المخلصون الذين لاتزال آثارهم الى اليوم شاهدة بنضالهم العنيف وأعمالهم الجبارة التى نذكرها لهم كلما هتف الناس لرجال العمل والسعى للانقاذ .

المتاحف ودورها الثقافي

بقلم عبد العزيز ادريس

يعتقد كثير من الناس ان المتحف مجعول لبعض السائحين ولبعض العلماء ذوى اللحية الطويلة ولم يشعر الناس بأهمية المتاحف الثقافية الا فى هاته السنوات الاخيرة وذلك للجهود الكبرى التى بذلتها المنظمات المتحفية القومية والدولية لتكون المتاحف عبارة عن مدارس يطلع فيها الزائرون بأنواعهم على عدة علوم مثل الطبيعيات والجغرافية والفلك والتاريخ بكيفية ملموسة محسوسة ٠

وانعقدت عدة مؤتمرات متحفية خاصة فى « بروكلين » وفى اثينة تحت اشراف منظمة اليونسكو وموضوعها دراسة الوسائل الفعالة لتقوم المتاحف بمأموريتها التثقيفية سواء أكان ذلك بالنسبة للاطفال أو الشبان أو الكهول والشيوخ ٠

ولهذا فان البلدان لم تؤسس متاحف اثرية وتاريخية وفنية فقط بل نرى متاحف لعرض وسائل النقل القديمة والعصرية والمزروعات والنباتات والحيوانات الحية والميتة والمعادن المحركات والملابس القومية والاجنبية وهناك متاحف للاسلحة وتاريخها وللمراكب البحرية والجوية والبريد وللالات الموسيقية ووسائل استعمالها وصناعتها وتوجد متاحف للعوائد والتقاليد القومية والاجنبية تعرض فيها مشاهد للحياة اليومية القديمة أو العصرية مثل ما نشاهد بمتحف قصر العظم بدمشق حيث عرضت اصنام ودمى جالسة أو واقفة أو راقدة لنساء ورجال وأطفال لابسين ملابس القبائل البدوية أو القرى بأرياف ونراهم يعيشون بمنازلهم ومخيماتهم فى مناسبات حياتهم الكبرى مثل الزواج والموت والحفلات الكبرى الموسمية ٠

واهتمام الدول ببناء المتاحف التاريخية والعلمية والصناعية والفلاحية ما هو الا نتيجة شعورها بدورها التثقيفى وأصبح المتحف التكملة اللازمة للمدرسة ـ ولذلك أسباب ٠

١) المتحف وخاصة اذا كان منظما واذا كانت مجموعاته معروضة بكيفية معقولة بداغوجية يعلم الزائر بكيفية **محسوسة ملموسة** وهو مما يجعله

يهتم بالمادة التى يدرسها اكثر من ذى قبل اذا كانت وسائل التعليم نظرية محضة • فزيارة القسم القرطاجنى مثلا بمتحف باردو القومى تجعل الزائر يرى ويلمس أوانى فخارية ومعدنية شرب فيها القرطاجنيون وحليا ذهبية تزينوا بها وتوابيت دفنوا فيها وأصنام الهة والاهات عبدوها فيصبح كأنه يعيش معهم فى حياتهم اليومية وهو مما يجعله يتعلم تاريخهم بسرعة من غير أن يكلف ذاكرته جهودا قد تكون متعبة وقد تجعله يكره مادة التاريخ لآخر حياته •

وشاهدت بنفسى عدة طلبة وتلامذة لم يهتموا بالتاريخ الا بعد زيارة لمتحف من المتاحف أو لاثار مدينة عتيقة

ولهذا فانى أوصى كل زملائى معلمى التاريخ أن يغتنموا جميع الفرص لتنظيم زيارات لدور الاثار بعد دروسهم وأوجه مثل النصيحة لمعلمى الطبيعيات والجغرافية والجيولوجية وغيرها من العلوم اذا وجدوا متاحف فيها مجموعات تتعلق بالمادة التى يدرسونها •

2) **المتحف مدرسة فنية** واستعماله نافع للغاية لتكوين العمال الاختصاصيين والفنيين والمهندسين ولهذا فان كثيرا من البلدان قد جمعت فى متاحف خاصة جميع انواع المحركات وآلات العمل سواء أكان فى حجمها العادى أو فى حجم مصغر وزيارة مثل هاته المتاحف الفنية نافعة للغاية للاختصاصيين الذين يتمكنون من الاطلاع على معلومات فى وقت لايتجاوز ساعة أو ساعة ونصف وذلك من غير العناء والتعب اللذين ينشان عن مطالعة كتب نظرية طويلة •

وزيارة المتاحف الفنية نافعة للغاية للاطفال الصغار بالاخص اذا وجدوا محركات والات مصغرة يلمسونها تحت رقابة أعوان المتحف وكثيرا ما وقع أن أطفالا شغفوا بالكهرباء والميكانيك وأصبحوا فيما بعد مهندسين عبقريين اثر زيارة متحف فنى وعلمى مثل متحف الاكتشافات Palais de la découverte بباريس •

3) **المتحف مدرسة للذوق السليم** وذلك لان زيارة متاحف الفنون المستظرفة القديمة والحديثة احسن وسيلة تجعل الطالب فى فن الرسم والنحت يشعر بواجباته ومسؤولياته لدى أمته وتقوم متاحف الفنون الجميلة عند الفنانين المبتدئين بدور مقياس لعبقريتهم وبراعتهم وناقد صامت نزيه يجعلهم يترددون مدة طويلة ويتأملون قبل عرض انتاجهم •

والمتاحف تقوم بدور كبير فى تحسين ذوق العموم بصفة عامة اذ يجدون فيها

عـدة افكار جديدة لتزين منازلهم من غير ارتكاب اعتـداء فظيع عـلى الجمال والذوق السليم كما نشاهده يا للاسف فى عدة منازل رغم الاموال الطائلـة التى أنفقت على بنائها وتزيينها ٠

4) **المتحف التاريخـي والاثرى احسن مدرسة لاشعـار الناس بماضيهـم القومى** واطلاع التونسى بكيفية محسوسة على ما صنعه أجداده مـن اشياء جميلة فى العصر القرطاجنى والرومانى والاسلامى أحسن مشجع له ليعمل وينتج سواء اكان ذلك فى الميدان الصناعى أو فى ميدان الفنون المستظرفـة وكلما وقعت فى بـلاد من البلـدان نهضة تـاريخية وبـذلت جهـــود لحفظ آثار الماضى وعرضها فى المتاحف شاهدنا نهضة فنية جديدة ـ فازدهار الفنون الجميلة باوربا فى القرنين الخامس والسادس عشر فى عهد « النهضـة » ما هو الا نتيجة دراسة انتاج اليونان والرومان القدماء فى النحت والرسم وصناعة الاوانى الخزفية والفضية والبرنزية

ومما يسر هاته الدراسة الجهود التى بذلتهـا السلط الاوروبية لجمـــع الرسوم والمنحوتات العتيقة فى القصور والمتاحف ٠

5) **المتاحف وخاصة متاحف الفنون الجميلة** من أحسن الوسائـل للتقـارب بين الشعوب ونسيان الحقد المبنى عن الجهل ٠ فاذا اطلع الاجنبى على معروضات متاحفنا التونسية وعلى انتاج أمتنا منذ عصر القرطاجنيين فهـو يحترمنـــا ويفهم ان كل أمة ساهمت وسوف تساهم فى تشييد الحضارة العالمية وكذلك زيارة التونسى للمتاحف الاجنبية مثل «اللوفر» و «بريتش ميوزم» ومتاحف رومة والقاهرة ونيورك أحسن وسيلة ليطلع على مساهمة الشعوب الفرنسية والالمانية والايطالية والمصرية والعراقية والاميريكية وكل شعـوب العالـــم فى بناء المدنية ٠

ولهذا فان منظمة اليونسكو سعت وما زالت تسعى لتكـون المتاحـــف مراكز للثقافة العالمية الحقيقية المبنية على التعـارف بين الامـم والاحتـرام المتبـادل ٠

أيتها الشمس

بقلم مصطفى الحبيب بحري

وداعا أيتها الشمس ..
فلم تبق الا خطوات قليلة سأقطعها بقوة وحزم ، لاتخلص من براثينك القذرة ..
لقد أنهكني الظمأ والجوع .. ولكنني سأكافح وسأنتصر عليك ..

أيتها الشمس ..

أسفي على ماضي عمري الذي قضيته في عبادتك ، وزهرة شبابي التي أذبلتها في تقديسك ...

كنت أرى فيك جلال الكون ، وهالة الابداع ، ونبض الحياة ، واشعاع الوجود ..

كنت أستقبلك عند بزوغك في رياض الحياة الزاهرة وانا جيك مع الاطيار الشادية المرحة ..

وكان يحلو لك كل يوم أن تستحمي في بحر الحياة الرقراق فتغوصي فيه .. وأودعك متلهفا للقائك على ضفة الصباح الجديد ..

وعندما يغفو الكون ، وتسود السكينة ، وتحلق عرائس الاحلام ، كنت أتامل نجوم الليل الساهره فأرى فيها أنوارك الفاتنة ..

انها آثارك في تموجات المياه ، الغافية على بدائعك ، السكرى باخمارك ، الراقصة على نغماتك ..

ويطول بي التأمل .. وتعتريني اغفاءه ..

واذا بي أراك مائلة أمامي بقوامك الفاتن ، وفتنتك الساحرة وقلبك يدق للحياة ميلاد يوم جديد ..

فأهتز ..

ويزيح الكرى حديده عن عيني

واذا بك تختالين امامي في حللك الباهرة ، واشتم رائحتك السماوية عطرة كأنفاس الوجود .. وأسمع وقع خطواتك الملائكية موقعة لحن الخلود

فلمـاذا تدوسين عـلى قلبى الجريح فى هذا المهمـه المقفر ٠٠؟ وتزرعين بيديك أشواك اليأس فى أضلاعى المحطمة ٠٠؟ وترسلين لهيبك المتوقد على جسمى المنهوك ٠٠؟ ثم تضحكين من ضحيتك البريئة وترقص اشعتك عـلى أنقاض هيكله ٠٠؟

يالك من ظالمة مستبده ٠٠ !

دفعك الغرور لان تشمخى عـلى مـن عبدك وقدسك ٠٠ وتنسى القرابين التى قدمها من قلبه على محراب قدميك ، وتبعثرى أزهار أحلامه التى رواها بدموعه وآلامـه ٠٠

صورك لى الحب ملاكا طاهرا ٠٠ بل الها سماويا ٠٠ واذا بك تلك الساحرة الخبيثة ، تنصب الشباك المغرية ، ثم ترمى بفريستها الى القرارات السحيقة ، حيث ديجور الشقاوة ، وظلمة اليأس ٠٠

كنت أعمى فى حبك أيتها الشمس ٠٠

ولكننى استيقظت على وقع سياطك وأنة قلبى فالتفت حولى لارى ضحاياك المساكين ، وقد التهمتهم احقادك ، وعزفت لهم انامك الجائعة لحن الفناء ٠٠٠

اننى الآن بين فكيك ، ولكننى صامد ، وسأحاربك حتى الموت ٠٠ لقـــد حطمت معبد قلبى ، فلا سبيل لك على بعد الآن ٠٠

لقد كرهتك بكل ماتبقى لى من شعور ٠٠ وسأحمل قلبى المحتضر بيـــن يدى ٠٠ وهناك تحت الرابية الخالده سأدفنه ليخلد معها وليرتل للتائهيـــن أنشودته الخالدة فى كراهيتك وبغضك ٠٠

هناك أيتها الشمس ٠٠

سأحمل قلبى على راحتى ٠٠ واواريــه التراب ٠٠ فلا تصل اليه شرارتك النارية ولا تجدين لك اليه منفذا ٠٠

وداعا أيتها الشمس ٠٠

فلم تبق الا خطوات قليلة سأقطعها بقوة وحزم لاتخلص من براثينـــك القــذرة ٠٠

لقد انهكنى الظمأ والجوع ٠٠ ولكننى سأكافح وسأنتصر عليك ٠٠

مسكينة انت أيتها الشمس ٠٠

لقد سخرت بصلوات عبيدك وحطمت مزامير أحلامهم ٠٠ لـم ترحمـي حناجرهم الهاتفة بتسبيحك ، ولا قلوبهم المبتهلـة لعظمتـك ٠٠ فتمـردوا عليك ٠٠ وعليك أعلنوا الثورة الجموح ٠٠

لقد دكت المعابد ، وماتت الصلوات ، وسكنت القلوب ، وجفت المآقى ٠٠

فمن يقيم لك بعد الآن النسك ٠٠؟ وأين تذبح لك القرابين ؟ ودموع من ستطلب منك الرحمة والمغفرة ٠٠ ؟

لقد أضعت بحماقتك الكثيرين

وقد كنت فى حبك أعمى اصم أيتهـا ألشمس ٠٠ فكنـت أول عشاقك وآخـر ضحاياك ٠٠

ها هوخريف العمر قد دب فى جثمانك ، فذبلت ٠٠ كما تذبـل الزهور ، خنقتها أشباح الشتاء بأكف الموت ٠٠

وها هى دماؤك قد امتزجت بدماء شهدائك ٠٠ فلطخت وجهك ٠٠ وكأنها تريد أن تمحو آثار جرائمك وآثامك ٠٠

مسكينة أنت أيتها الشمس ٠٠

لقد دهمك الغروب ٠٠ وطواك الفناء ٠٠

لقد ماتت بسمتك على ثغر الليل النشوان بخمر دمائك ٠٠

اننى ابكيك رغم ظلمك ايتها الشمس لانك كنت جاهلة غريرة وأنـدب شبابك الذاوى ، وأرحم ضعفك ، وأرثى لبلواك

ومن صميمى أناديك مكلوما :

وداعا أيتهـا الشمس ٠٠

والى غير لقاء ٠

مصطفى الحبيب بحرى

الغبي

قصة بقلم رشيد كنالي

لقد رمي ، في احد الاسمار ، بالغباوة ، ولم يفاجئه هذا النعت اذ كان زملاؤه ينعتون القرويين بالغباوة والسذاجة والبساطة ،

ولعل خيباته المتكررة في ممارسة الحياة الحضرية في المدينة جعلته يقر بغباوته ودفعته الى تعشق الطبيعة في السلوك ... تعشق العفوية في الاستجابة ...

... ولعل حداثة سنها جعلتها لاتتكلف في ارتخائها النسائي وهو يحدثها ... وودت لو انه يصمت ، يصمت فقط ... وتفرسها ـ فجاة ـ بنظرة ساكنة ، هادئة ومتسائلة ، فاغمضت عينيها وتهالكت بين ذراعيه في بوح صريح ومخلص ...

وكانت مراهقة .. حقا مراهقة .. وراقصتها تلك الاحاسيس البائسة ، وبعثرتها تلك الهزات العنيفة ، ولكنها اغرقتها جميعها في ضرب من العبث الطريف و .. البريء ..

واستمدت من حنانه ورقتها قوة دفعتها الى ان تحبه ، او الى شيء يشبه هذا ..؟

وكان يعلم ان الامور لابد ان تتجاوز هذا الحد ..

وتلوت امام المرآة تستنطق اجزاء جسمها النشوى فالفت نفسها تبتسم

اذ هي تلمح في مخيلتها صورته وبدالها لغزا محيرا ، . وحاولت ، عبثا ، ان تدفع نفسها الى فهمه ، وهزت كتفيها اذا حست انه سيعقل حريتها ثم فتحت المذياع ...

قال لزميله : لم اكن اعلم ان المراة ـ الى هذا الحد ـ قاصرة او تريد القصور .

ولم يجبه زميله ، واحس بابتذاله ، و .. تبذله ...

لقد قرأ كثيرا عن مثل هؤلاء الفتيات ، وشاهدهن في السنما وابتسم لهن كثيرا في الطريق .. ولما احس بفتاته تنقمص شخصية الفتاة الاروبية ، بدون

تفكير او مبدا او مؤهلات ، قال له زميله : شانها فى ذلك شان مثيلاتها فى اقطارنـا العربية ٠٠٠

غير انه كان ، فى قرارة نفسه ، مؤمنا بان الحياة ، انما هى اشياء اخـرى ذات وجود ومعنى وضرورة ٠٠٠ لذلك لم تؤلف لديه هذه الحادثة عقـدة او ماساة او معضلة وانما ضمها الى بقية ذكرياته واعتبرها نهاية منطقية ٠٠٠

٠٠٠ وكانت السنوات الاربعة ، التى مرت وهو منصرف عنها ، قد نحتت فيه شخصا غريبا منقسما عن نفسه ٠٠٠

وذات يوم ، واثر ابتسامة غاضت فيها نظرتـه ، ضمهـا واذاب بعنـف شفتيها فى ٠٠٠

وذهب الى عمله وكأن لم يطرا شىء على سير حياته ، وقضى ليالى ساهرة، غـامرة ٠٠٠

وحدث ان كان فى موقف « جد » فألفى نفسه يفكر فيها ، ولم يدر ما الذى حمله الى ذلك خاصة فى مثل هذه اللحظات المحرجة ٠٠٠

ولكن الذى اثار استغرابه هو ان جميع الاحاسيس التى غمرته ــ وهو فى اول عهده بها ــ قد برزت فجاة على سطح شعوره ، فقال كعادته : هى الصدفة ٠٠

وكان قد اراد ان يجعل لكل حركاته صدفة شاملة فلا يكون هو الفاعـل بل تحركه عفوية بريئة لانه اكتشف ان ليس لارادته انسجام او تلاؤم ٠٠٠ لقد اراد مرارا ان يكون فى حـل من معضلات وجوده لكى لـن ترتعش ذاتـه لتناقضها ومتناقضاتها ٠٠٠ لقد كان دوما يحس بافلاسه فيصمت ٠٠٠

وقد حاول فى ذلك اليوم ان يوجد لعمله ذوقا او طعما او لذة ، ولما اجهده العمل وضع يديه فى جيبيه واخذ يتلمس ــ بحركة لا اراديه وفى احساس العيفان ــ قطعا من النقود الصلبة ، القاسية كحياته وحيرته وغادر العمل متجولا ٠٠ وانتهى به المطاف الى بيت زميله الشاب ، واستلقى على الفراش وحاول أن يقرأ ٠٠٠ ووقف زميله امام الشرفة واخذ يحملق بعينين لاتعيان وانطلق صوت الشاب بلحن مهدهد ، رقيق وبائس ، ٠٠ وكـان يستمـع اليـه فى سكون حزين ٠٠٠

والتفت اليه الشاب قائلا : لم ترق لى أية اغنية وأبدى له اشارة موافقة ، لا لانه أعجب بملاحظة زميله وانما لان هذا الموقف ذكره اشياء كثيرة ٠٠٠ لقد تذكر انه قرأ نفس المعنى فى احدى القصص ، وأن أصدقـاء آخريـن قالوا له نفس الحديث وأنه ، هو نفسه أحس بهذا الفراغ ، واللامعنى ٠٠٠ هو نفسه وجد فى اللامفر من أن يوافقه أو من أن يقول مثله ولو على مضض ٠

وليس لـه الآن الا ان يسكـن خـاوى الـذهـن ، يـدور فى حلقة مفرغة ٠٠٠ لقـد جرى طـوال ايام ليعـود ٠ وزفـرة محرقة تمزق

وجدانه وتعمى مشاعره ، ··· وانتهى فى الاخير الى ان يوهم نفسه بانه يحب فتاته الشقراء ولكنه لايدرى بالضبط لماذا ؟

ونهض تاركا زميله ··· وكان يحس ان اقراره بعجزه بعث فيه شيئا من الراحة او شيئا اخر يشبه هذا ··· نعم اقراره بعجزه ··· ذلك العجز الذى يعيه كل الناس ، والذى لايعبرون الا عن ياسهم من شفائه لا لانهم لايرغبون فى الشفاء وانما هذا المرض اورثهم نوعا من الخذلان والاستسلام وضربا من السادية ···

قالت له · انى مغمورة بسعادة لاتنتهى

وامسكته ، واخذت تراقصه على الحان غربية ··· وكانت رائعة حقا وعذبة الى اقصى حد · ولكن روعة جاذبيتها اسكرتها وتركتها تملى بسحرها اكثر منه ··· قال فى سره « ان تحس المراة بجمالها وبميزتها النوعية ، وان تعى مفعولها على الرجل تلك هى السخرية و ··· »

كانت معالم انوثتها تتكاثف فى تلك اللحظة لتبديها لفة غريبة الرقة والجذب ونافذة المفعول بسخافة وطفولة ··· وكان يتاملها فى شيء من الدوار ···

قالت له لقد كنت افكر منذ قليل هل انا التى أتصرف فى الحوادث التى اقوم بها ام هى التى تضطرنى اليها ··· فتذكرت مديرة المدرسة التى طلبت منى ان احضر ابى لتعلمه بتغيبى عن المدرسة طيلة ايام ·· وكنت اعلم انه سيقول لها انى كنت مريضة او شيئا اخر مثل هذا وذلك بيسر وسهولة ··· قال · لنرقص ، لان ليس اجدى من الرقص فى مثل هذه اللقاءات ···

وفجأة الفى نفسه يحاول ان يعلل وجوده مع فتاة لاتربطه بها صلة شرعية ·· او عرفية · وتوقف ولكنها تابعت رقصها بخفة ورشاقة ونخوة ·· وقد كانت فى الاثناء تحس كل حركاتها ووقعها ··· وسالها عن امها ، فقالت له : غادرت المدرسة اليوم عند العصر واحسست انى شديدة الحيوية وانى عرضة لمغامرة ما ··· ورايت شابا انيقا ، واستجبت لابتساماته ···

وكان باستطاعتى ان أصرفه ولكنى اردت ان يكذب كسابقيه ويقول لى من اللحظات الاولى انه يحبنى حتى العبادة ··· وفكرت ، وانا امشى الى جانبه ، لو انى احبه ؟ ···

ولما سالنى عن اسمى و ·· قلت له دع الصدفة تجمعنا مرة اخرى ···

كنت اعلم ان الصدفة لاتعيد نفسها كما اعلم انى لن ابتسم له وانما الذى ضحكت له ذاتى هو ايمانى بان هذا الحادث سوف يكون بعيد الاثر فى نفس صاحبنا ···

قال على مضض : وأى معنى لمثل هذا السلوك

قالت : واى معنى للمرأة سوى هذا ؟ سوى هذا يا فلان ، وهل تريد ان تمنح المراة الرجل شيئا آخر ، انتحس انى ، لك ، كلا متجاوبا ولكن هى ، هى ما تريد ؟ وكيف تثبت وجودها فيك واى معنى لما ستقوله لى عن (الحب والصدق والاخلاص والفضيلة ٠٠٠)

كلها الفاظ ساحرة تبحث عن مسميات هى وهمية فى دماغك ٠٠٠ تبحث عن وجودها فى يدك ، فى عينيك٠٠فيك ٠ ولكنك سوف تبقىانت ، انت الذى قالت له تلك المراة قبيل زواجها ٠٠ « ان التركيب البشرى عاجز على الدوام ٠٠٠ »

واحس بكابة خرساء ٠٠٠ وكان يفكر هل هو يحبها ؟ واذا لماذا يفكر فيها ويحملها الى أن تفكر فى ماهيتها ؟

« انه قلق كما انه السعيد الى اقصى حد ، والشقى الى ابعد الحدود ، وان تلك الذبذبة تعذبه وتشده بقوة الى المعضلة ٠٠٠ » قال ذلك بكل حماقة الى زميله ٠

وجلست على ركبتيه ، ورفعت له راسه ونظرت فى عينيه ٠٠ واحس انه لم يكرهها قط وان وجودها فى حياته ضرورى وحتمى ٠٠٠ وقالت له ٠٠ قلت لامى لماذا تحضرين لى مثل هذه الفساتين الانيقة او لماذا تريدين منى ان اكون فاتنة وجذابة ؟ قالت لى : لانك خلقت لهذا الدور وتبين لى انى اقوم بدور فى مسرحية ، مسرحية حياتنا وانه لايمكن لنا ان نبدو فيها الا مقنعين ، ممثلين ٠٠٠ وخاصة نحن النساء ٠٠٠

وشدته اليها واغرورقت عيناها بالدمع وقالت سوف يقولآخرون مثلهذا٠٠ وسوف يغمر كثيرون وجوههم مثلكفى مثل هذا الجسد ليبكوا ، ليبكوا لماذا ؟ وعن ماذا ياحبيبى ٠٠٠

كانت الى صدره مغمضة العينين وكان يتأملها فى روعة سكونها ، وضمها فى رفق وعطف وهو يفكر هل هى الصدفة الطريفة ، القصيرة ؟ هل هو بصدد محو مفاجاة الصدفة ام هو نفسه صدفة وان كان كذلك فهو شاذ لان الصدفة شاذة ومن جنس الشذوذ ٠

واحس مرة اخرى بغباوته اذ تركها تنام ، اى امراة ملتهبة الانوثة ٠٠

٠٠٠ كان يترقب شيئا يدفعه ان يكتب قصته ، ولما اخذ يبحث عن جنس هذا الشيء وجد نفسه امام فوضى لاكنه لها ٠٠

فقصته ليست الاثرثرة مبتذلة ، عتيقة كما يقول زملاوه ٠٠

كان يعلم كل هذا عن قصته كما انه يعلم ان فى سجل مذكراته هذرا كثيرا

ولكنه صمم « ان ينتزع من عـالم الاحياء الى مهب العصف للذة وهمية ليس لها معنى او كنه ··· نعم ، ان ينتزع من عالم الاحياء ، الاحياء كما كانـوا يسمون انفسهم ···

وقد يدفع الى الاحياء ليماشي وهو يعلم ان ليس لفعله اية قيمة تذكر او اهتزاز ·· وقد يكون ـ وقتها باسما بل تبتسم شفتاه ليعلن لذاته ريـاءه · ولتموت فيه معانيه ·· وحقيقته ···

ووقف امام مكتبه لياخذ ورقة ويسجل قصته فوجده مبعثرا مضطربـا لايربط اجزاءه نسق ··· فجلس على المقعد وامسك بالقلم ، واخذ يفكر ، او تخيل له ذلك ، وشرعت يده ـ بدون وعي ـ تخط اشكالا مختلفة ·· ولمـا نظر فيها وجد انها فارغة لايحويها منطق او معنى وانما هي آلية فارغة ···

واحس بمرارة قاذعة اذ اعادت هذه الاشكال الى ذهنه فكرة طالما حـزت مشاعـره ، فكـرة واقعيـة يلمسهـا كلمـا ذهـب الى عملـه · او عـاد منه ··· وخشى ان تصبح فتاته ، بعد حين ، كهذه الاشكال التى صنعتهـا الاليـة ···

وانتشله زميله من سذاجاته فغادرا المكتب ··· والفى نفسه يحدث زميله حـديثـا طـويـلا كـان قد سمعه من فتاته ··· ، كـان يحـدثـه عـن الفتاة الشرقية وكيف ان الزواج يلبس حياتها الية الرتابة ···

وحدثه ايضا عن كاتبة فرنسية وكيف انها ابرزت الحقيقة المرة التى انتهى اليها ابطال كتابها عندما ارادوا ايقاف الزمن ·· وتمديد الحركة ، الحركة التى هي اولى خصائص الحياة ··· واحس وهو يحدث زميله ان كل ما قالته له فتاته منطقى وان مثل هذه الاحاديث يجب ألا تصدر من امراة او ، على الاقل ، من فتاة فائقة الجمال ··· ولما اعلمه زميله بانه لايريد التفكير فى مثل هـــذه المواضيع احس بانه عيفان ، وان دوامة من الهذيان اخذت تغمـره ، فغـادر زميلـه ·

كان مستلقيا على رمال الشاطىء وحيدا ··· وبينما كان يتامل الموج اذ شاهد زهرة ذاوية تتلاعب بها المياه ··· فالتقطها ·

وحاول ـ عبثا ـ ان يجد فيها اريجها ·· لقد طغت عليها رائحة ميـــاه البحر واصبح لها الشكل دون المعنى · واحس برغبة ملحة الى التدخين ···

وذهب الى فتاته ليقص عليها قصة طويلة لايعلم عنها اى شىء · وعاد بهـا الى الشاطىء وهو يتأمل وجهها المدعوك ، وجهها الذى ارهقته اللذة فتركت عليه اعياء ··· يتامل ذلك الهوع الجسدى العنيف ···

لقد كانت تعلم لماذا يريدها فى مثل هذه الساعة كما انها تعلم لماذا كـان يتاملها ···

ولما نظرت فى عينيه ابتسم فتغرغرت دمعة براقة فى عينيها ••• وتركها ليذهب الى فتاة فى الرابعة من عمرها تلعب بالى جوارهما ، واخذ يتاملهـــا بلطف ، يتامل البراءة التى تشع من هيكلها الناعم ••• وتعجب عندما ادرك أن اللذة ترهق الجسم ارهاقا اشد من ارهاق الالم والتعب •••

وانتهت به غباوته الى انه فكر ان يحكى قصته للطفلة الصغيرة لكى تعلـم اشياء كثيرة عن مصيرها فتبقى هى البراءة والعفوية والسجية التى طـالما تعشقها •••

ولكنه قبلها وتركها تلعب ، تلعب باسمة ، حالمة •

وامسك فتاته ، ووقفا حيث تلامس المياه الرمـال الذهبية ، واخـذا ينظران الى امتداد اليـم وامتلكهما ضرب من السكـون الخشوعى ••• فاستندت الى صـــدره •••

وكان البحر يمتد امامهما ، يمتد بدون نهاية وردد وهو ينظر فى عينيها (بدون نهاية) فقالت : نعم ! بدون نهاية وهى تحاول ـ عبثا ـ ان توقف برجلها موجة فى لحظة وصولها الى الرمال ••• ولما طلبت منه ان يعودا الى البيت ابتسما على غرار السعداء •••

والتفتا الى الطفلة فابتسمت لهما •••

الفكـر

مجلـة ثقـافيـة ادبيـة

تصدر شهـريـا

مـؤسسهـا ومـديرهـا

محمد مـزالي

المراسلات ـ صندوق البريد 556 تونس

قطاع الطريق

قصة بقلم محمد ذيب
ترجمة البشير بن سلامة

فى الظلام الحالك نطق الشيخ فى سرعة وفى جنون قائلا : « انهم قطاع الطريق انهم يقتلون انسانا »

وهمست بالقرب منه زوجته قائلة :

ـ « يارب ارحمنا »

ـ أى ليلة هذه ! أى ليلة هى ! هل تسمعين ؟ ان انسانا صاح منجديد ٠

ـ يارب السماوات والارض ٠٠٠

ـ كفى عن شكواك وانصتى

ـ لو تذهب الى الباب فتقويه بخشبة

ـ لمــاذا ؟

ـ لاندرى ! لربما يأتون الى هنا ٠٠٠ يالهم من شياطيــن ! قــال الحاج بصوت اجش متهدج :

ـ اقوى الباب ! الاجدر بى ان اذهب

ـ الى أين

ـ لنجدة هؤلاء

ـ انت تنجد الناس ! لاتفكر فى هذا الامر ! انك لو ذهبت لبقيت تحت أقدامهم

ـ آه ! آه !

ـ مابـــك

ـ لاشىء

ـ لننم بربك ٠ هل ٠٠ ماذا تفعل ؟ هل تنهض ؟

ـ ان الصياح تجدد ! انه يأتى من كل مكان ٠ هل تسمعين ؟ كل الناس يصوتون ، رجالا ونساء واطفالا ؟ انهــا الضجة الكبرى ! ياربى هو التقتيــل بعينه ! هم يكسرون الابواب بالفؤوس ٠ فكأنه ٠٠٠ أنصتى

ـ ياسيدى ، ياسيدى ، ياسيدى ٠٠٠ يارب احفظنا من كيد اعدائنا واحفظ اخواننا ، رحمتك ٠٠٠

ـ أسكتى واتركينى اسمع

ـ احفظنا يارب

ـ اسمعى النساء يعولن ٠ هذه حالنا فى كل ليلة ٠

ـ ان فى البشر كفارا لايخافون شيئا

قــال الشيخ :

ـ أنك لن تزيل الشر من قلب صاحبه

ـ الويل لهم ! اناس لم يسيئوا قط ! اما هؤلاء الخبثاء ، القتلة ..

آه ! يارب • يارجل هلاتنام ؟ ان مايذيقه هؤلاء الاشرارللناس جميعا لايمكن الا يجازوا عليه • هل تسمعني ؟

ـ نعم ، نعم ، انى آت •

ـ انى لا اخشى لا الضبع ولا الذئب ولا حتى الارواح • اما البشر فانى اخشى بعضهم • نحن ندفع عنا الحيوان بالعصا وبالسلاح وندفع عنا الارواح الشريرة بثايات الكرسى أما الاشرار من الناس فلا سلاح لنا نردهم به عنا•

ـ أنصتي

ـ لم نعد نسمع شيئا • لماذا هم يسيئون عظيم الاساءة الى الناس هكذا •

وفى صباح الغد تفشى الخبر بكرة فى انحاء المدينة : جثث عديدة اكتشفت فى القرى المجاورة مبعثرة هنا وهناك • رآها الفلاحون وهم متوجهون بخضرهم الى السوق ورآها بائعو اللبن الذين وصلوا المدينة باوانيهم المحمولة على الاحمرة • قدرأوها كلهم وكانوا الاولين • هى عشرون جثة منتشرة رزما رزما • قد عرف اصحاب البعض منها فى الحين • هم ليسوا من رعاع الناس هم محترمون مرموقون •

بدأ الصباح فى هذا الفصل يشتد برده وأطلت أيام الخريف عارية مذهبة وظهر الناس كأن لاهم لهم سوى اشغالهم فالدكاكين مفتوحة واعوان الامن الفرنسيون فى مفترق الطرقات لاتنام لهم عين والسيارات تمر جيئة وذهابا •

دخل قليل من الناس دكان الحاج • قال « حمو » العطار :

ـ لم يعد هناك قانون

وصاح آخر :

ـ ولا كرامة ولا أخلاق •

وأردف الحلاق « زلام » قائلا :

ـ الفتك بأب سبعة أولاد ! بأناس وادعين ! أبرياء ! ببائع تبغ

واخذ الحاضرون كلهم يتحدثون فى آن واحد • أما الحاج فكان ينظر أمامه هادئا مطمئنا مشمرا على ذراعيه لابسا « مقفولة » منحنى الاكتاف لاينبس بكلمة كأنه لاينصت الى ما يتحدث فيه القوم وكانه تعود مثل هذه الاحداث فى كل يوم من حياته •

كان ينظر الى تلك الاشجار هنالك فى الساحة الصغيرة مثل شأنها فى الحدائق وفى ضواحى المدينة وقد اخذت تميل الى اللون الاصفر والارجوانى والاشقر من دون أن تفقد أوراقها • ذلك أن اكتوبر هذا انتهى من الالتهاب فى سيل جارف من الذهب • أما الليل فقد بدا فى الظاهر بعيدا

وبقى الآخرون فى الدكان يتناقشون بدون انقطاع •

"خليفة الاقرع"

قصة بقلم البشير خريف

دفع الخبزة الى الكواش ، واخذ فى طريق العودة الى كوخه حزينا كئيبا ، لينظر فى سبب تنكر الناس له فمنذ مدة ، شعر بتبدل الايام • واليوم تحقق من ابتداء طور تعيس فى حياته الحقيرة •

الم يبادر سى المختار الى اعطائه ـ بنفسه ـ الخبزة فى السقيفة ؟ وكان قبلا يدخل حتى المطبخ ، فيجد لـلا فاطمة ، زوجة سى المختار ، وصلوحة الارملة ، سلفتها وابنتيها حنيفة ودليلة • فيهارشنه ويضحكن منه ساعة ويأكل مما بين ايديهن من فضل عشاء او مما يصنعنه من حساء او سلاطة مشوية • اما اليوم فقد كفاه ، صاحب الدار ، مشقة الدخول •

ثم ان سعيدا الكواش ، عوض ان يدعوه بخليفة الاقرع ، كالعادة ، ويمازحه ويحاول كشف رأسه ثم يناوله كأس تاى ، دعاه بسى خليفة ، ولم يناوله كأس تاى !

« سى خليفة » • ما اسمج هذا النداء ، وما اثقل عليه اداة الاحترام • فما هـذه الكارثة ؟

مر فى طريقه على دار عم الحاج الفلاح ، فدق عليها دقا خاصا فانشق الباب واطلت عليه امرأة بدينة سمراء ، عيونها كوميض السيف ، فلما رأته ، بتسمت واستبشرت • اعطاها قرطاسا وقال لها :

ــ حله له فى القهوة والا فى التاى •

فاستلمت ذلك بلهفة وقالت

ــ يعيشك ياخليفة • استنانى هانى جيتك •

وغابت ثم اقبلت ونفحته بمصروف •

ومر على حمودة النجار واعطاه حقة لطيفة بها لبانة ممضوغة • فاخذها وسأله :

ــ من فم حنيفة ؟

ــ امالة من فمى • قالت لك • نهار الاثنين فى ثنية السيدة

ــ تعيش ياخليفة الفول ٠ استنانى ٠ وادخل يده فى جيبه ونفحه بمصروف ٠ ثم قال له :

ــ خوذ ، يعيش خويا ، وصل القفة للدار ٠

ذهب الى الدار ودخل فاعترضته العجوز ام حمودة واخذت من يده القفه وخرجت معه الى السقيفة ٠ وهناك قصت عليه منامة طويلة ليعيدها على بوبكر الدقاز ويأتى لها بتفسيرها ٠

وبينما العجوز تهمس وقد تهلل وجهها وانصرف عقلها الى ما رأت من خير فى المنام ، اقبلت من خلفها ابنتها محرزية ونظرت اليه نظرة رجاء ، فأشار بالنفى ، فولت مكسورة الخاطر واتمت العجوز منامتها ثم قالت له فى تردد وحياء ، كأنها تعتذر ٠

ــ وليدى ما تغششنى ، خوك حمودة قال لى ناخذ من عندك القفة من السقيفة ٠

فبلع ريقه وانصرف

دخل الى كوخه ، وعمد الى مخلاة ، فاخرج منها فرتا مختلفا : اوراقا وخرقا وصورا وعلبا ومقصا ومحفظة نقود ، الى ان وجد شقفة مرآة ، فاخذها وقابل الباب وجعل ينظر ٠ فعرف بليته ٠٠٠

نكت طويلا فى الارض ثم لاح له خاطر ٠ فقام واصلح بعض شانه وتوجه الى حانوت عم بوبكر ، الدقاز المغربى ٠

* * *

رفع الملحفة ودخل ، فوجد المغربى جالسا وبين يديه كتاب اصفر مفتوح واوراق ودواة واقلام قصب ٠ فلما رآه ابتدره

ــ تعالى هنا يا ولد الـ٠٠٠ واش اعطاتك السيدة مرت عمر ؟

وتقدم اليه بوجه مغضب ، وكان شاربه خطا رقيقا فوق شفته ، امر عليه ماكينة المزين وعفى عن طرفيه ، فتدليا على جانبى فمه كجناحى خطاف ، وجنتاه بارزتان وحنكاه غائران ينتثر عليهما ، ككل مغربى محترم نفسه ، عارضان خفيفان ٠ عثنونه طويل هزيل مخطط بالشيب

بهت من هذا الاستقبال وسأل :

ــ جاتك ؟

لم يجب الدقاز واعاد سؤاله مهددا ٠

ــ قول واش اعطاتك ؟

ــ نسيت

حملق فيه المغربى ثم قال ساخرا :

ــ مسكين خليفة الاقرع ينسى واش خذا من فلوس !

ثم اقترب منـه

ــ انا نفكرك : اعطاتك واحد الالف · وانـت تتفكرشى واش عطيتنـى والا نسيت ؟ اعطيتنى مائة ريال · هكذا قال لك ربـى ، تسرق يا واحـد القـران ؟

احس الاقرع بجفاف فى حلقه وقال مستلطفا :

ــ ماتتغششش ، عم بوبكر ، يمكن تخلطت على الفلوس · حليمة اعطاتنى باش نرد لها فردتها من الرهنية وكانت عندى فلوس الطريزة متاع ناناتـى صلوحة واعطاتنى دليلة نشرى لها الغبرة والحمير وعندى فلوس محرّزية ···

ــ خلاص ، خلاص ، خلاص · عندك البانكا ديال الحومة · ودابا الكـل ما تغلطشى فيهم ، ماجيت تغلط كان فى فلوس عمك بوبكار !

ــ والله ياعم بوبكر ···

ــ ما تحلفشى ، ما تحلفشى · واش بيك ما جيت تغلط كان بالنقص ؟ واش بيك ما غلطشى بالزايد

ــ والله ياعم بوبكر ···

ــ اصبر ، اصبر ، وتزيد تاخذ مائة فراك من عندى · صوار انت حصلت ستمائة وانا ربعة · هكذا حلل لك ربى ؟

ــ شوف عـم بوبكر ···

ــ ماكانشى عمك بوبكار دروك · والسردوك الاسـود ، وعـدة رفيقـة فى عرسها ؟

احس كمن نخزه فى قلبه · انه جاء مستجيرا بالمغربى عسى ان يجد فى حكمته مفرجا لما اصابه فاذا به يقع فى حساب عسير ·

ــ آه السردوك ؟ اعطاته لى باش نبدله ، على خاطر مهوش سمين

ــ راك بدلتـه ؟

وقام المغربي الى الرف فامتدت قامته في جلابة رمادية اللـون تنتهـي الى بلغـة صفراء تغم رجليه واخذ ضمـة من الريش الاسود ومدها في وجهـه

ـ والريش دابا اللى لقيته قدام الحانوت ديالك ؟

آه الريش ! لعن الله الريش • لقـد نسبه يـوم احتفـل بذبـح الديـك واعداده • أخذ يحلف ريثما يجد دفاعا •

* * *

لقد دعته النسوة في ذلك اليوم ليملأ لهن الماء من المـاجل لغسل ثيـاب العروس رفيقة ، والحقيقة ليضحكن منه • دخل الى وسط الـدار وكان عـلى نصفين ظل وشمس فوجد حنيفة ودليلة بنتي سي المختار وحليمة البدويـة الشابـة التي تزوجهـا الحاج الفلاح وربيبتيها اللتين تقاربانها سنا ورفيقـة العروس وجليلة وكلثوم • ووجد السيدة زوجة عمر ومحرزية أخت حمودة النجـار •

ملألهن دلاء • ونضحن عليه الماء واشتد سرورهـن لمـا بسط الفرش عـلى الرخام ورفع غطاء النقرة واخذ يملأ منها مباشرة ويصب ، وعلا الفرش دلكا برجليه • فاعجبن بهذه الطريقة وانضممن اليه في رقصة صاخبة والارجـل تعمل في الفرش وفضيض الماء قائم ، ثم انهن تغامزن عليه واوقعنه على الارض زاعمات ان دور غسله هو قد جاء وصببن عليه الماء واخذنه من يديه ورجليه يعصرنه كالثياب •

فكان سعيدا بمصارعتهن ، سعيدا بمقاومـة جهدهـن الليـن اللطيـف : فيحتمل فوزهن عليه ويمتع النفس بالنظر الى المحاسن الخفية والارفاغ •

تملص مرة ، وحبا وامسك محرزية من حيث لا ينبغي ، فدفعته ، فوقـع في الماجل ، ففجعن وجثون يطللن عليه ويندبنه ، واخذت محرزية تتبرأ من فعلتها وهو يطفو على الماء ، يتظاهر بالموت • ثم تعاون على اخراجـه بالحبـال والسلوم والتفقن بـه وهو يقطر مـاء فاصبحت ثيابـه شفافة وزاد ضحكهن

ثم جعلن يجردنه • وحاولت حنيفة الخبيثـة ان تخطف عمامتـه فتكشف قرعه • وتفطن لاغتنامهن الفرصة ، فجسسنه من مـواضع شتى ، وخـاصة محرزيه فانها امرت يدها على جسمه بشره لايقل عما كان يفعل لو كان الجسم جسمها واليد يده •

ثم طفقن يعتذرن اليه بما شابه الغزل ، ثم جاءت كل واحدة بقطعة ثياب ، والبسته اياها • فجاءت دليلة بنتطلون ابيها ، ورفيقة بجيب قديم وساميجة وادخلت حنيفة في عنقه حصارة عمتها وكبست رأسه بتقريطة ، وهو يصيح

ويمانع – شكليا • ودق الدربوكة طاغ على صوته • واقبلت جليلة بقشابية فكبتها عليه وحشته فيها • وهكذا مجهزا ، حملنه ووضعنه على صندوق فى النصف الظليل من وسط الدار واطلقن زغردة ارتجت لها الحومة •

وبعد ذلك تسلم الوعدة – اى السردوك الاسود – ليؤديه الى عم بوبكـــر الدقاز ، لكن رأى ان يتمم به نعمته ذلك اليوم •••

* * *

– قول ، كليته وحدك ؟

– هــرب لى •••

– هرب لك واعطاك شويه ريش باش كيف تستحق له تبخر له

– جيت نشد فيه تقلع ريشه

– ادروك وآينه السردوك ؟

– توة نشريلك واحد آخــر •

وظن نفسه تخلص ليشرع فيما جاء من اجله • لكن المغربى لم يمهله •

– وهذا الحرز ، ياواحد الساقــوط • واش اللـى كتبت فيه ؟ وانقذف الريش الاسود من يد الدقاز الى ركن الحانوت وحل محله ورقة بيضاء مطويــة على اربعة •

– تدلس على الحروز وتأخذ الصوارد ، انت تلعب بكلام ربى

••• نعم ، اهتدى ، منذ مدة الى هذا المرتزق السهل لقد ابتل له حرز كان يوصله الى احدى نساء الحومة فاراد تجفيفه ففتحه فرأى فيه مربعــات مخطوطة بالسمق ورموزا ليس من العسير تقليدها ••• لكن ما السبيل الى دفع هذه التهمـــة ؟

– ياعم بوبكر ، وقتها لقيتك راقد • ما حبيتش نحيرك •

– ياخى رقدت بنوم اصحاب الكهف ؟ ياخى مانضتش عند العصر ؟

– الحقيقه كنت حاجتى بالفلوس •••

– قول هكذاك ؟ وانت واش تدير بيها الفلوس ؟ مايكفيك اللى نعطيــك فى كل مرة تجيب لىالصوارد ؟

حاقت به الحجج وثار على انانية الدقاز وبدا له ان يهاجم هو الآخر •

– عاد قداش من مرة عم بوبكر ، نمدلك الفلوس تاخذ وتغمض عينيـــك آشنهوة واش نديربيها • انا مانيش عبد ؟ كان انت تدير بالفلوس ؟

اغتاظ المغربى وحرق اسنانه وصاح ٠

ــ واش راك تهدر ، واش راك تهدر ٠

ــ يزى عاد عم بوبكر ، محسوب انا بهيم شى مانعرف

اوجس المغربىخيفة ٠ فرفع عمامته المكورة ، وجرش رأسه المحلوقبالموسى ثم كب طياتها المتقاطعة على جبهته فبقى قفاه عاريا محلوقا ثم قال فى قوة تخفى تـراجعـا

ــ واش راك تعرف ؟ قول

فاندفع الاقــرع

ــ نقول اللى خذيت من عند المرا الفين باش تبخرلها بالبخور العجمى ٠ بعثتنى لقطت لك بعر المعيز وخذيت وحدك الالفين ٠

ابتسم الدقاز ابتسامة صفراء واجاب ٠

ــ يعطيك عصيدة كان انت تعرف تشرى ! مانى شريته وحدى ٠

ــ وكيف نجيب لك عشاء الموتى باش تقرأ عليهم تبعثنى نشرى لــك الشراب ٠ هى تجى قراية بالشراب ؟

انكمش المغربى ، مكرها ، فى دور المدافع وقال :

ــ بركاك ياولدى ما تكفرشى ٠ هذاك الخمر نصبه فى بيت الماء لبابا جاطو ٠

ــ بابا جاطو يحب كان النحلى البارد ؟ والطفلة الحبلى اللى جبتها لك باش ترمى سقطت لها صغير وعملت لها صغير آخر ٠

استفدح المغربى الداهية ٠ فرفع يديه وتشنجت اعصاب وجهه وصاح ٠

ــ سكت ياولد الــ٠٠٠ هاذيكة عندها الراقد ٠

ــ مازالت فى دار بوها ، قداش من راقد ؟

رشقه المغربى بنظرة ساحقة ، من تحت حاجبيه الكثيفين وعض لسانـه ، وحسر كم جلابته عن ساعد مشعر ، معرق ورفع جمعه كـانه يـريد نسفـه بواحدة ٠ ثم كظم غيظه وقال

ــ تهدر ، تهدر ٠ واش تحوس على انت ٠ انا ما نحوس عليك ٠ بقى انت دابا ربى باش تحاسبنى ، ما اقبحك وما اصح عينــك ، دايـر روحـك رابط ٠ من هو اللى حبلها الاول ؟ قول ٠ تكلم ٠٠٠

تراجع الاقرع ٠ وما كان يحسب ان الفتاة تبوح بسرها وسره ٠٠٠

لقد تعرف اليها فى الصيف ، زمن العولة ٠

ففى يوم شديد الهاجرة لجأ الناس الى حجراتهم الباردة الندية يقيلـون ٠

وعاد هو الى كوخه ، بعد ان تغدى فى دار سى المختار ، حيث اعان على نشر الكسكسي والمحمص • فغط وحمى فرأى ان يطلب الروح فى السطح • فطلع وتسلق الحافات وصعد ونزل فى مجاهل السطوح حتى اهتدى الى ركن فيــه ظل وروح حسبه فى آخر الدنيا ، باعتبار وسطها فى كوخه •

وجد فوشيكة من العاشوراء الماضيه وكرة طاشت للصبيان وقطعة نقود صغيرة • ازال السحالة بيده واصلح لنفسه مجلسا بين السيكران والاقحوان الجالى ولبث يستمتع بنسيم رقيق صاف ويتجول بفكره فى آفاق بعيدة غامضة

وكانت الابنية البيضاء تنوء تحت شمس لاترحم الماذن والقباب ومربعات اوساط الدور وباقات الحجار نفذت من بين الجدران وسطوح ناصعة وسطوح مهجورة برصاء ، قد اكلها الحشيش

وكأن الحياة غادرت المدينة ، فرقص فوقها ضياء زئبقى معش تحت سمـاء لالون فيها

ومن حين الى حين ينفخ بائع الكريمة فى زمارته نفخته المتموجة ، فيقوم ضجيج الصبية الذين افلتوا عن امهاتهم ثم يعود الصمت كاملا كثيفا •

وكان خليفة ، قد نسى نفسه فى غيبوبة من الهدوء والطمأنينة واذا بــه يشعر بوجود احد قربه ، فانتبه فسمع بكاء خفيا •

من هذا الذى فر بنفسه الى ملكوت السافيات ، ليطلق العنان لدموعه فى مثل هذه الساعة ؟ قام بحذر وطفر على حافة وانقلب على سطح آخر

واذا بركن فيه ظل وروح كركنه

واذا بصبية فى روبة قديمة ، مادة رجليها ورأسها فى يديهـا وشعـرها متهدل على وجهها واكتافها واذا بها جليلة بنت الحاج

ارتاعت وهمت بالفرار • ولما عرفت خليفة الاقرع لم تبال ، واكتفت بـان همست :

ــ اسم الله العظيم ! من آين جيت

وغشيتها حمرة من وجد يقترف ذنبا فردت ذيل ثوبهـا عـلى ركبتيهـا الناعمتين واخفت منبت نهديها • اجابها

ــ مالقيت وآين نمشى فى هالقائلة ــ ثم سألها ــ وانت آش تعمل هنا ؟

ــ حتى انا مالقيت وآين نمشى •

ــ وآين تحب تمشى

ذهب روعها وشعرت نحوه بما يشعر به الطفل اليتيم عند مايسكـن الى قط او كلب فيجعل منه صديقا يبثه ما يملا قلبه ، مفترضـا انه يفهم شكاتـه واجابـت :

ــ نحب نقطع برور وبحور ونمشى لبقعة ما يعرفنى فيها حد وما نعـرف فيهـا حد •

ــ عــلاش ؟

ـ اللى نعرفهم يزينى منهم • قلبى قد •

ـ تحب تولى غـريبة ، هكه كيفى انا ••• اللى عندو ناس يقـول ياليتنى بلا ناس والى ما عندو ناس يقول ياليت كان عندى ناس !

رفعت فيه عينيها الدعجاوين ، الـواسعتين • ليس هو قطا وليس كلبـا ولاحاجة لان تفترض ، انه يفهم شكاتها !

تبدلت فيه نظرتها • الا يجمع اليتم بينهما ؟ بلى والسن ايضا •

عدلت من جلستها ، كأنها تدعوه للجلوس • وافتر ثغرها افترارا حـزينا جميلا وارتعشت وجنتاها الورديتان وتساقط الدمع من اهدابها الطويلـة •

رفرفت عصافير متنقلة من عش الى عش وزقزقت زقزقة خفيفة •

لم يدر خليفة سبيلا الى مواساتها غير البكاء معها وما كان بكاؤه الا حنينـا اليها ودخولا فيما هى فيه • دموع المـرأة سلاح مصيب ، فى غالب الاحيـان لكن دموع الرجل سلاح يصيب ابدا !

قال لها، بعد هدأة

ـ انت عندك بوك وعندك اخوتك وعندك ناسك ، اما آش نقول انا •

ـ ياليتنى انا زادتها عندى حد ، ياليته ربى كيف هزلى امى ، خلانـى وحدى • اما هذه مرت بابا شواتنى وقلاتنى ياوخى •

افترقا عن غير موعد والتقيا من الغد فى نفس الساعة والمكـان ، ونشات بينهما رابطة خفية ، حلوة على احساس مشترك فى التعاسة ، فانقلبت هـذه التعاسة الى سعادة ، واى سعادة !

وحل الحديث محل الشكاة وحلت الضحكات الخافتة محل البكـاء وحلـت المداعبة محل السكون •

وكانا ، من العمر ، ابان تهب الطبيعة بدائع الشباب فكانت جليلة ، كلما خلت الى نفسها ، تتطلع لاكتناز جسمها ونعومة بشرتها واستدارة ساعديهـا ولـولبة فخذيهـا وخصب جسمها • وكـانت تعجب لقبتـين بضتين لينتـين فاض بهما صدرها ونفج وسط كل قبة برعوم فى درهـم من جنس الشفاه ، فتقوز عليهما يديها وتحاول تقريبهما من بعضهما بعض او رفعهما ولها معهما العاب وملاطفات فتشعر شعورا لذيذا تضطرب له ويغشاها دبيب النمل •

وكان خليفة يعجب لقوته النامية وتصلب عضلاته وتدفـق دم الشباب ، فوارا عاتيا ، فى عروقه

بلغت بهما الصداقة الى ان اطلع كل منهما صاحبه على ما يشتمل عليه من بدائع ، ثم قارناها ، ثم الفا بعضها ببعض فتالفت ٠٠ الى ان طغى الوجد مرة على الحذر ٠٠٠ فغرزت اظفارها في وجهه ٠٠٠

* * *

بلع خليفة ريقه وتمادى في مرائه مع الدقاز

ــ انا عــم بوبكــر

ــ امالة اشكون يا واحد القران ؟ وعدل سير الجلد الذى يمر قطريا على قميصه يحمل جبيرته ، وكر عليه ٠ من هو اللى خسر عرس كلثوم ؟ من هو اللى يربط بين حمودة النجار وحنيفة ؟ من هو اللى يبيع القمح اللى يسرقه الحبيب ولد الحاج من باباه ؟ ومن هو اللى يرهن الحلى ديال حليمة ؟ ووآيــن تروح نهار الاثنين كيف تهز صلوحة الهجالة للسيدة المنوبية ؟ ومد فيه لحيته الهزيلة ٠ فظهرت من تحتها رقبته المحلوقة محببة كجلدة الدجاجة ٠٠

فتح الاقرع عينيه مبهوتا ٠ باكتا كالفار الذى انحصر ــ امام قط ــ في زاوية لامهرب منها ٠ فما كان يظن الدقاز مطلعا هذا الاطلاع ٠ وحضرتــه اعماله ، فانحز قلبه لاندامة عنها ولكن حنينا لها واسفا عليها ٠

الارملة صلوحة ! أين يجد كمثلها رفقا وحنانا ؟

انه ليذكر ليلة في آخر الصيف ، عند عودة الخلايعية ، اذ ارسله سى المختار ليبيت معها على بقية ادباش فضلت عن حمولة الكميونة ٠

وكانت صلوحة الارملة هذه ، معروفة بالشراسه ، والحرص وتبغضه بغضا لامزيد عليه ٠ على انه ، لاينكر جاذبية غامضة ، ملحة ، تجذبه اليها وتحببه في التقرب منهــا ٠

ترملت منذ عشر سنين ، عن زوج لم تلبث تحته الا عامين ٠ فغدالها مثــل الصلاح والتقى والكمال الزوجي وترجو بفارغ صبر ايان اللحاق به ، لاستئناف حياة لم تعمر لديها الا عمر الوردة ٠

ولبثت تنتظر ذلك عند اخيها ٠ ورفضت عـدة عروض للــزواج ، وفــاء للراحل العزيز ٠ وكانت تشغل وقتها بالسيطرة على بيت اخيها ، بيدهــا مفتاح بيت المونه وتقوم بدور الحماة بالنسبة لفاطمة ، امراة اخيها ، فتذيقها الوانا من المضايقات وتراقب حركاتها وسكناتها لتشعرها بقلة رضاها عما تفعل وتبدى اشفاقها على اخيها ، مرددة :

« ها الطيحه المسودة ياوخى » وتهيب ببنات اخيها الا يشبهن امهن • وتضرب المثل بحياتها الزوجية القصيرة وتتنهد •

وكانت تاخذ على اخيها اباحة داره لخليفة الاقرع وتنكر هوسه مع البنات وتنهره كلما تقرب اليها • فكان يجتنبها ويخشاها • فلما ارسله سى المختار ليؤانسها امتثل ، مستثقلا هذه المهمة ، متطلعا لنتيجتها •

وكان الحر ، تلك العشية ، شديدا والغيم كثيفا والجو ثقيلا محموما والرعد يجرجر على بعد كأنه عجلات ثقيلة بعيدة واسحم السحاب غربا وبقى مضيئا وماديا من شرق ينفذ الضياء بين ارديته المتراكمة • وطيور الخطاف تسف ، تكاد تلمس وجه الارض بصدورها البيضاء

دخل الدار وسلم على « ناناتى صلوحة » فخزرت اليه شزرا ، فلم يأبه بها ونزع ثيابه وذهب يغتسل ويتبرد • فلما عاد ، سألته •

ــ واينه سى مختار ؟

اجابها بانه سيبيت معها يؤنسها وغدا يأتى سى المختار ويسقون بقية الادباش •

فقامت فى وجهه • ورفضت انسه • واجبرته على العودة حالا ، الى تونس، لينادى لها اخاها • حاول ملاطفتها ، دون جدوى ، ثم اذعن وذهب يرتدى ثيابه ، فسقطت محفظة نقوده وانفتحت وخرجت منها صور واوراق • فاسرعت صلوحة الى اخذها ونظرت ، فوجدت صورة دليلة ابنة اخيها وصورة الحبيب بن الحاج ، فضمت المحفظة اليها وسألته

ــ ياغلبتك ! آشنهية ها التصاور وها الكواغذ ؟

ــ لا ، شى ، هذوكم تصاور آش اسمه ، اعطانى نطلع له فيهم • هاتهم

ــ نعطيك ؟ نعطيك عاطيه وضربة خاطيه•هذوما من يدى ليد سى مختار •

ــ متاع الناس ناناتى ، يعيشك لواه ؟

ــ اما ناس ؟ تصويرة بنت خويا يا اللى ما تحشمش اخرج على • توة تنادى لى خويا ، يارهدان •

ــ مليح ، هانى خارج • اعطينى ، الاخرة ، الفلوس باش نركب •

رمت اليه بالنقود ، وحشت المحفظة فى شونها وشيعته بقولها •

ــ اذهب ذهبة !

تردد لحظة فى عتبة الباب ثم توجه الى المحطة •

سمع قعقعة رعد بعيدة • فتخيله نذير ما ينتظره غدا من شر • كان يتوقع كل شىء من الارملة • السب واللعن والدعاء والسخرية وجميع لطائف الشراسة ، حتى الضرب • اما هذه ، فلا • سوف يفتضح امره ، سوف

يطلع سى المختار واهل الحومة على تصرفاته سوف يرون الصور ووصولات رهن الحلي واحراز بوبكر الدقاز ورسالات غرام هو موزعها في الحومة على الشبان والشابات ...

ولولا الصورتان ، لما انتبهت الارملة الشريرة ولما وقع في هذه الورطة وهما صورتا محبوبين تجنبا على بعضهما بعض وشاء كل منهما ان تكون الخطوة الاولى من الآخر ، ثم ، شعرا مع المطرب عبد الوهاب ان « الهوان واياك معزة ... » فارسل كل واحد صورته لحبيبه • كعربون للتصالح ، فاجتمعت الصورتان عند الاقرع فاحتفظ بهما ولم يؤد الامانة • لالشيء سوى ان يستمتع بحرقتهما ويشعر ان مصيرهما في يده ان شاء رحم وان شاء نقم • لكن ها ان الصورتين تتسببان في افتضاح امره • ندم على هذه المداعبة ايما ندم وقال في نفسه « انه يجب فعل الخير حتى فيما يسمونه شرا »

برق البرق وارعد الرعد وانفطرت السماء بعارض من عوارض آخر الصيف العنيفة • فنزل المطر سجفا وجرت الشوارع في لحظة وديانا تجرف القشور والاوراق والكواغذ وفوجيء الناس ، فادخلوا رؤوسهم بين اكتافهم وجروا وثبا على المياه • وخلا الشارع وتضوعت من الارض العطشى ومن المغاني والبساتين رائحة التراب الذي اصابه الغيث •

دخل حانة ، قد فر منها روادها وانهمك صاحبها في ادخال الكراسي وتكويمها على بعضها • فطلب زجاجة وشواء ولبث ينظر •

ليس امامه الا الفرار بنفسه • فما تكون عاقبة امره ان اطلع القوم على الصور والاوراق ؟ فكر في الرجوع الى الدار لعله يجدها قد هدأ هيجانها ، او يجد فرصة لاختلاس المحفظة ، وان تمكن من ذلك ، يسهل الامر ، يبدل الصور بغيرها ويغالطها امام الناس ، معتمدا على ما اشتهرت به من بغضها له او يفتكها منها بالقوة ويهرب •

مر من الليل جانب ، وفرغت الزجاجة واضاعت الاشياء في عقله قيمها ووجد في نفسه قوة تهد الجبال • خرج فضربه المطر على وجهه ولفت المعصرات اسماله وغاصت رجلاه في الماء والوحل ودار دمه ، حارا نشطا ، واتجه الى الدار •

وصل يقطر ماء • ففتح الباب ولم تشعر به من تهاطل المطر وعويل الريح وصخب البحر •

دخل يمد رجليه مد القط •

لم يبق في الدار الا جراية وبساط ونصف خزانة وبعض الماعون ، نقلوه من المطبخ الى ما كان بيت نوم • وارتفع مواء قط كان يدخل حجرة ويخرج من اخرى يبحث عن مواليه ويحتج عما رأى من تغيير •

وجدها لاصقة بجانب الشباك ، تنظر الى السماء الغضبى ، الى السحب التى بدت داكنة ، شهباء كالدخان تكللها من حين الى حين ومضة برق تنير امواجا متراكبة متلاحقة ، مقصدرة الاطراف وتتفرقع فيها زمجرة مدويه ، فتمسك الشباك وتسرع شفتاها بتلاوة سورة الاخلاص مقطعة بطلب اللطف والستر .

احدث حسا لتنتبه ، فالتفتت مذعورة،فزعم ان الماء غمر قنطرة وادى مليان فتعطلت المواصلات .

ــ ووه ! ريحتك بالشراب . اخرج على
تراجع ، بينما رفعت رأسها تكلم نفسها :

ــ كيفاش نعمل يا ربى ها الليله ؟
اشفق عليها ، فتقدم وتوسل .

ــ ما تهبلش يانانانى يعيشك .

فعرشت كالدجاجة التى تحمى افراخها وصاحت به

ــ مانيش ناناتك ، سبع دقات على قلبك ياسكارجى . مشيتش من قدامى والا نكسر لك راسك بها الطاولة .

واخذت المقلاة من يدها وبهزت فيه .

ــ يااللا هانى خارج عليك . الفيراندة زادة ما نباتش فيها ؟ ها الليلة المبروكه !

انسحب ، ولبث ساعة فى الفيراندة ، صحبة كلب مبلل كريه الرائحة ، واخذت منه النشوة ماخذها وجالت فيه افكار ، عجب كيف لم يفزع لها . غدا يفتضح امره ويطرد ويفقد كل شىء ويذهب ، الى اين يذهب ؟ لايدرى ، سوف يخزيه الناس جميعا .

اقترب منه الكلب ورحب به ولحس اصابعه . فعجب من هذه الملاطفة وخطر له ان ليس كل البرية ضده . وتمثلت امامه الارملة صلوحة تهجم عليه بصدرها المفعم ... الشهى وفوطتها المنفرجة وعيناها ترميانه بشرر من الكراهية والبغض . لكن الذى يعذب نفسه ويقطع قلبه حيرة هى رأأة يدركها ، نادرا فى ملامحها ، فتبدو له حبيبة تدعو .

انقطع التيارالكهربائى . فباتت المدينة فىظلام دامس ، حالك ، وكشرتمن فوقها السماء . فدخل يتلمس واشعل عود وقيد وعمل فتيلة بالزيت ودخل بها البيت . فالفاها وجلة ، ممتنعة . قد اتسعت عيناها . وتغيرت تقاطيع وجهها فاكسبتها فتنة غير مقصودة .

عاد الى الفيراندة ، حذاء الكلب حينا ، ثم رجع :

ـ توة ماكش عاطيتني السطوش ؟
ـ تمشي من قدامي والا نلفك بكف !

ـ آش ثمه على امك ، ينعل والدين بوك ٠ توة ولى عفريتة سيدنا اسكندر وانتظر القيامة ، مستعدا لخوضها ٠ فنظرت اليه ، كأن الخطاب لغيرها ٠ بل بدا له كانها ممنونة اذ تخلص من صفة الحديم الى صفة رجل عربيد ٠

تقدم الى وسط البيت وتابع :
ـ انا ماشي ، ماشي ٠ وغدوة باش تطردوني ، انا نهردها الليلة وغدوة نصبح في بلاد اخرى ٠
ـ يا عماك وصماك ! والله توة نقول ووه ونفزع لك الجيران ٠

ـ واينهم الجيران اللي باش يسمعوك في ها الليلة في ها الشتاء ٠ بينك وبينهم جنينتكم وجنينتهم وآش حاجتك بالجيران ٠ انت خايفه مني ؟ والله تراب صباطك نكحل بيه اهيكه السكينة حذاك ٠ ها هو صدري ٠ اقتلني كان تحب ٠ مسامحة في الدنيا والاخرة ٠
وعرى صدرا معضلا ، املس ، تقاطيعه حسنة متناظرة ، قد صهرته الشمس واقترب منها ٠
اشتد الغط في الحجرة وكأنها فرغت من الهواء وجالت عيونه في محاسن جسمها ونعومة لحمها وبدت له حاجة ذلك الجسم الى التعريك والمصارعة ٠
اختنقت انفاسه ، ونزجسمه عرقا ٠

ـ ابعد على ما اخيب عينيك ٠ يعطيك عمى فيهم ٠
ارتجت الدار جيئة وذهابا واز زجاج الشبابيك وقصف الرعد قصفة صماء ، انبثت عقبها رائحة كبريتية ٠ من صاعقة نزلت ٠ فارتمت ، دون ان تشعر ، لائذة به ٠ فغشى شعرها وجهه فتنفسه وملا قرارة نفسه من رائحته ثم ابتعدت عنه نادمة عما بدا من ضعفها ٠ فتابع :
ـ نحب نعرف علاش تكرهني ٠ آشنوة ربحك كيف يطردوني ونمشى نهمل ؟ واين عندى نمشي ؟ انا يتيم وغريب ٠ عملتكم اهلى وناسى ونخدم فيكم بااللى نقدر ، باش ضربتك
فأجابت ، دون ان تنظر اليه

ـ انا تضرني ؟ لايوصلك ٠
ثم رفعت عينيها وقالت له كانها تطلب منه حجة مقنعة ٠
ـ وها التصاور وها الجوابات ؟ يا اللي ما تحشمش !
ـ آش عندك في ها الحسابات ، متاع الناس للناس ٠
ـ تصويرة بنت خويا يا غلبة !
ـ بنت خوك والا بنت عمك ٠ ما تحبهاش تعرس ٠ انت قل لى ها الشوم والشرادة وآين وصلوك ؟ الناس الكل تكرهك ، الناس الكل ترد بالها منك ،

النهار الكل وانت لاهية بالحلق وتحمص وحدك • كيف التبيب ما عندك حبيب • تبدا الناس تلعب وتضحك • انت تدخل والسكوت النبوت ••• حد ما يعطيك سره • خسارتك ! شربة ماء ما يجيبوها لك الا ما يبداو ينتروا ويشنتروا

ترقب جوابها • لكنها لبثت صامتة ، جامدة • ورأى دمعة تنزل من وجهها المسبرت ، فاستمر •

ـ تحبنى نمشى • اقعد فيها وحدك • خزز • ابكى على روحك • اما انا قدامى الدنيا بكلها •

وخرج • واطبق الباب • فاخذت فراشا ولحقته الى الفيراندة وقالت له :

ـ خوذ •

ـ لواه ؟

ـ ماك بايت فى الفيراندة • خوذ باش تفرش

ورجعت الى الحجرة وقالت له :

ـ زيد خوذ الزربية كان تحب

لحقها وبيده الفرش • فوضعه وقال

ـ زعمة سخفتك ؟ انت فيك قلب وتسخف•آش نعمل بفرشك وآش نعمل بزربيتك ؟ انا ماشى على روحى • ماوهكه تحب • اما نزيد نقلك قبل لانمشى والله لو كان تعمل مليح مع روحك تنحى ها الشوم وتتلهى بنفسك وتنحى الغش اللى قارنلك عبستك وتزهى •والله لاثمه وحدة كيفك • الكل اللى ترى فيهم ما يجيو فى ظفرك • عمرى ماريت وحدة قاتلة نفسها كيفك والله عندك فدلكه ما احلاش منها ، بزايد كيف تبدا تعايب فى النساء اللى يجيوكم، ماكش فاطنه بنفسك يامغبونه • والله مرود كحل •••

فقاطعته ، وقد ذبلت عيناها وتزيتتا وابتل ريقها •

ـ كيف عجبتك ما خل ربى ما اعطانى •

ـ تعجب سيد الناس • وقداك اشكون كسبه وشفتك المسوكه من عند ربى •••

ـ يا عماك وصماك

ـ •••انت غلة فى عز وقتها •

اجابت بصوت فارغ :

ـ هيا وفيتش والا غدوة والله والله خويا يحطك فى الحبس

ـ الحبس والاجهنم • مد السطوش لانفريكك •

واخذها من صدرها ، حيث خبأته • فحاولت دفعه وفتحت فمها لتستغيث ، فسده بفمه واسندها وسواها على الفراش •••

مر العارض • وامسى الرعـد كزئير اسد عجـوز • لايقصد من زئيره الا اشعار النـاس بوجوده • ثـم يعود الى احـلامـه • ناسيا نفسه • وامسى البحر يزفر زفرات جهورية بطيئة كزفرات حطاب مجهود •

ومن الغد • اصبحت الارملة صلوحة تطارد القط لتـذر خليفـه ينـام • ورمت على راسها رداء وخرجت تشرى الحليب ، لتعد له وجبة افطاره •

* * *

ــ تكلم يا واحد القران ، داير روحك تتصهمم ؟

اخفى خليفه رأسه فى ذراعه وطفق يبكى • ثم قال :

ــ عم بوبكر • انا حسبتك كيف بابا ، وجيتك فى قضيه لى وانا عمـرى ما طلبتك فى حاجة ، تصبح تشعل فى كالفتيله•على كل حال سامحنى•وهانى ماشى على روحى • ماعادش ترى خليقتى ••• وانا لى ربى وزاد بكاؤه

امهله المغربى حتى يفرغ من بكائه ، لكن زاد نشيجه واخـذ البكـاء يخض جسمه • فاشفق عليه وسأله •

ــ واشنهو القضية اللى جيت عليها ؟

فرفع وجها ، احمر ، مخلوطا بالدموع وقال بصوت متقطع :

ــ ما • ما عادش • يخليونى • نـ • ندخل لديارهم

ــ واش من كاينة عملتها ؟

ــ ما •• ما عملت حتى •• كاينة

ــ امالة دابا آش بيهم ؟

ــ راسى برى

واخذ يمسح عينيه ويشهق • نظر اليه المغربى طويلا ثم قال :

ــ احمد ربى على العافيه

فرجع الى البكاء ، وعادت دموعه تنهمر وقال :

ــ سى المختار ما عادش يحبنى نقابل بناته

ــ ايــوه

ــ والنساء ماعادش تلعب معايا •

ــ واش دابا نديرلك ؟

فاقترب منه وانفتح وجهه المبلل :

ــ احسبني كيف ولدك عم بوبكر رايت قداش من حاجة جبتهـا لـك ٠ وتوة انا جاي ووصاتني خالتي دوجة على فدوة لبنتها ٠

ــ واشنهية حاجتك

ــ شوف راسي عم بوبكر

ازال الدقاز عن رأس خليفه المحرمة والشاشية ، فظهرت سفيفة شعــر تحيط بقمة ملساء ، حمراء قد ارتسمت بها مناطق تختلف في حمرتهـا فمنها ماذهبت الى الصفرة اوالبلق او الصهب ٠ وتطايرت من بعضها قشور وبدأت شعيرات رقيقه بيضاء تكسو اكثر المواضع برءا

ــ نشبح ، نشبح ٠ راسك برا

ــ كيفاش نعمل عم بوبكـر

ــ احمد ربي وخـــلاص

ــ باش يهزوني نخدم عند طبيب سنين

ــ الله يسهل لـــك

ــ ما عادش نرى جنيفة وزكية وناناتي ٠٠

ــ واش عندى من قدرة ليـــك ؟

ــ عم بوبكر ٠ براس اللي يعز عليك ٠ اعمل لي حتى دمالتين والا ثلاثة ٠

تســـاؤل

ــ انعقد مؤتمر المستشرقين بموسكو في الاسابيع المنصرمة وحضره 1500 عالم من جميع البلدان ولم يحضره ولو عالم تونسي واحـــد ٠

والحال ان المؤتمر السابق الذى انعقد بمونيخ في المانيا منذ 3 سنوات شارك فيه الاساتذة حسن حسني عبد الوهاب والطاهر الخميرى، ومحمد الطالبي وفرحات الدشراوى وقدمـوا بحوثا ٠ فلماذا هذا « التخلف » في هذه المرة ؟

ــ كما انعقد اخيرا المؤتمر الدولي العاشر لتاريخ الاديان في المانيا الاتحادية ولا نعلم لماذا لـم يشارك فيه ولو استاذ تونسي واحـــد !

ــ وسوف يعقد بالقاهرة في ديسمبر المقبل مـؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين فهل سيحضره ادبـاء من تـونس وهل بدؤوا يستعدون ان كان ذلك ؟

ام هل كتب على تونس ان تكون « حاضرة » في جميع المحافل الدولية وحتى في تلك التي تعنى بشؤون الذرة ماعـدا محافل الادب والفكر ؟

"السفساري"

قصة بقلم جواد صيداوي

كان زهوها ، يوم التحفت به لاول مرة ، لا يوصف • فقد أحست بأنها تطلق عهد الصبا ، وتكبر عدة سنين دفعة واحدة • وكانت لاتنفك تقف امام المرآة وتستدير على عقبيها تراقب التفافه حول جسمها الفارع ، تطيل أذياله تارة وترفعها تارة اخرى لترى الوضع الذى يلائم قامتها •

لقد انتهى عهد اللعب واللهو فى الزقاق الى غير رجعة • وستعفى نهائيا من الذهاب الى البقال المجاور • فقد اصبحت الان « للا » وأصبح بامكانها ان ترافق امها لزيارة الجيران والاقارب وان تشارك فى الاحاديث المطروقة ، تثنى على « فلانة » وتنتقد « فلانة » وتسخط مع الساخطات على ما وصلت اليه الاخلاق من تدهور وعلى ما بلغته الفتيات فى هذا العصر من خفة ومن وقاحة فى تصرفاتهن ، وستبكى مع الباكيات على اخلاق الماضين التى ذهبت معهم • ولديها من الامثلة التى تشاهدها فى أواسط رفيقاتها فى المدرسة ما يفتح لها قلوب المستمعات من النساء فيرين فيها الفتاة المثالية التى تتمنى كل امرأة أن تتخذ منها كنة لها

كانت هذه الخواطر تغزو عقلها كلما وقفت امام المرآة وهى ترتدى « السفسارى » • ما اعظم فرحتها • سيقضى هذا الحجاب الابيض الناصع على الاضطراب الذى تملكها يوم احست باستدارة نهديها الصغيرين ، وعذوبة شفتيها القرمزيتين ، سيحجب « السفسارى » كل مفاتن الشيطان كما يقول ابوها فى كل مناسبة وما اكثر المناسبات التى كان يعلن فيها سخطه على المرأة • وكان يعجبها فى ابيها إنه كان يحفظ جميع اقوال المتقدمين والمتأخرين فى ذم المرأة • وكانت على ثقة تامة بأن اباها لايخطىء قط ، كيف يكون ذلك وهو الذى قضى عشرات السنين يدرس فى الجامع الاعظم جامع الزيتونة ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها • وظلت تترقب بفارغ صبر صبيحة اليوم الذى ستذهب فيه الى المدرسة « بالسفسارى » وتنضم الى فريق المحجبات من تلميذات صفها ، فيقوى بها حزب الفضيلة على حزب الرذيلة •

واستيقظت صبيحة اليوم المنتظر مضطربة لغرابة الاحلام التى مرت عليها تلك الليلة فمرة رأت نفسها تسير وسط الشارع عارية تماما ، ومرة حلمت انها تتعثر باذيال « السفسارى » وتنكب على وجهها ، الى غير ذلك من الاحلام المزعجة التى جعلت نومها قلقا متقطعا

ولم يكن مجيئها الى الصف بشكلها الجديد حدثا هاما ، اذ ليست التلميذة الوحيدة التى ترتدى « السفسارى » ٠

والفت زيها الجديد وغدا لها الامر طبيعيا مع الايام حتى انها اصبحت تلقى بحجابها الابيض كيفما اتفق بعد ان كانت تعتنى بطيه ، فى كل مرة تخلعه ، عناية فايقة ٠

وعندما بلغت الصف الرابع الثانوى ، لم يؤثر فيها العدد الوافر من التلميذات السافرات بل استمرت على حالها ، انما الشىء الوحيد الذى كان يؤلمها هو تلك الابتسامات من بعض التلميذات اللواتى « تحضرن » فأخذن يتباهين بازيائهن الاوروبية ٠

وحدث مرة ان جاءت رفيقتها « امينة » الى المدرسة بدون « سفسارى » واعتاضت عنه بثوب طويل الاكمام وغطاء للراس ، ولشد ما اغتاظت عندما شاهدت بنات صفها ، يستقبلن امينة بعاصفة من التصفيق وصيحات التشجيع والاطراء ، حتى اضطرت الناظرة أن تقبل مسرعة لتستطلع الخبر فاجابها بعضهن ضاحكات بأن امينة تخلصت من « السفسارى » فلم تتكمن الناظرة من اخفاء ابتسامتها ، ثم طلبت منهن الهدوء وانصرفت ٠

وسرعان ما انتقلت عدوى السفور من أمينة الى عدد آخر من التلميذات وكانت كل سافرة جديدة تستقبل بمثل ما استقبلت به أمينة وفى كل مرة كانت الناظرة تسرع لاستطلاع الخبر ثم تنصرف باسمة ٠٠ وغدا حزب الشيطان هو الاكثرية فى الصف فازداد ألمها وبدأت تشعر بشىء من الضيق ، وكانت تراقب بطرف خفى ذراعى « فاطمة » العاريين حتى الكتفين، وتحس بالخجل عندما تنظر الى صدر « فتحية » المكشوف حتى اصل النهدين، وتلعن فى سرها « نبيهة » التى تأبى الا ان تصفف شعرها دائما حسب أحدث موديلات تصفيف الشعر وكثيرا ما تساءل نفسها عما حدث لهذا الجيل حتى فقد كل احتشام ، انه لا شك تأثير الغرب ٠ ماذا يقول ابوها لو حدثته عما فى صفها من اعاجيب ، انه لن يتردد فى اقتلاعها من المدرسة اقتلاعا ، وهناك المصيبة الكبرى ، لا لن ترتكب هذه الحماقة ابدا ، معاذ الله ، انها تفضل الف مرة أن تتحمل كل هذه الامور من رفيقات صفها على ان تقبع بين اربعة جدران فلا ترى الوجود الا من خلال نافذتها ٠ لشد ما ترعبها هذه الفكرة وقد اصبحت قريبة من انهاء المرحلة الثانوية من تعليمها ٠ وبدأت تنطوى على نفسها ، وقصرت علاقاتها على صديقتين او ثلاث من تلميذات صفها العشرين ٠

وازدادت حالتها تأزما عندما بدأت تسمع بعض أساتذتها يدعون

باستمرار الى نبذ البالى من التقاليد وهم لاشك يرون أن « السفسارى » أحد هذه التقاليد البالية ، وان كانوا لايفصحون عن ذلك بصراحة بل كانت تشعر كلما طرق احدهم هذا الموضوع أنه يقصدها هى بالذات ، ولكنها بدأت مع الايام تدرك ان المرأة المسلمة كما تبدو من خلال شروحهم وتعليقاتهم ، كائن آخر يختلف عن ذلك الكائن الحقير الذى عرفته من خلال احاديث ابيها ٠

وبدأت تألف جو الصف وبدأ احساسها بشخصيتها يشتد ويقوى ، وجاهدت نفسها على الخروج من قوقعة ذاتها وعملت على تمتين علاقاتها بجميع تلميذات صفها بل لم تعد تجد حرجا فى ان تثنى على ذوق هذه فى حسن اختيارها لفساتينها ، وفى أن تبارك لتلك تصفيفة شعرها الجميلة ، وصارت تخلع « السفسارى » وتضعه فى محفظة كتبها قبل دخولها الى الصف ولاتلبسه الا بعد خروجها منه ، وادركت ان للحياة وجها آخر وان اساتذتها على حق فى قولهم بأنه لا ينفع مع فساد الخلق حجاب ولا يضر مع الخلق الرفيع عرى انها مقتنعة بذلك ولكن ما هى الفائدة من اقتناعها ، فالمهم ان تتمكن من اقناع والديها ، وارتجفت عندما تخيلت ثورة ابيها وقضاءه على مستقبلها بكلمة واحدة ٠ فما العمل اذا ؟ ماذا لو حدثت امها واخبرتها برغبتها فى خلع ٠٠٠ يالله انها تعرف امها جيدا ، ان اول ما ستفعله عندما تسمع هذا الكلام المنكر هو ان تلطم وجهها براحتيها وتبكى وتستعيذ بالله ، لم يبق امامها الا ان تضع فى الجرح ملحا وتصبر حتى تنتهى من دراستها وتنتقل الى العمل وعند ذلك يفرجها الله ٠

ولكن هل بامكانها أن تصبر ايضا ، لم تعد تطيق غبطة رفيقاتها على انطلاقهن وتفتحهن للحياة بل تريد هى ان تحيا ايضا وقبل فوات الاوان ٠ يجب ان تعمل على تمزيق الحجاب عن عقل ابيها ولا بد ان تصل الى تمزيق هذا السفسارى اللعين ٠ ثلاث سنوات طوال عجاف ، انها تكاد تختنق ، انها تشعر وكأنه يمنعها عن النمو ، وبما انها تخلعه امام اساتذتها فى الصف فلم لاتخلعه امام سائر الناس ٠

وذات مساء عادت الى الدار وقد عزمت على امر ٠ كانت السهرة شأنها كل ليلة ، والداها منصرفان الى السمر واخوتها الصغار يرددون قطع المحفوظات واعداد الحساب٠فغادرت طاولة عملها وانضمت الى الاسرة وابتسم الاب لمقدمها ،٠وتثاءبت الام ، وآنست من جانب ابيها لينا لينا ولكنها كانت تجيب على اسئلته باقتضاب ، وصعب عليها أن تفجر قنبلتها وتحيل سعادة الاسرة

الى شقاء ، ولكنها لم تعد طفلة صغيرة لقد غدت في سن توجب على الاخرين أن يحترموا رأيها ٠٠٠

٠٠٠ ورأت اباها يتهيأ للذهاب الى فراشه فعارضته وقالت بجراة عجيبة :

سيدى سأخرج غدا بدون سفساري ٠٠٠ لم تدر كيف تلفظت بهذه الكلمات ، بل شكت فيما اذا كانت هي التي قالتها وجحظت عينا الاب وزار بها كالاسد الطعين :

ـ ماذا تقولين ؟

ـ قلت بأني سأخرج غدا بدون سفساري ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة تشبه ابتسامة القبر لميت جديد وصاح بها وهو يدفعها بيده :

ـ اغربي عن وجهي ، لعنة الله عليك ، وعلى المدرسة ، وعلى هذه الحالة التي وصلنا اليها ، اذ هبي ٠٠ لن تغادري بعد الان عتبة الدار ابدا ٠

واسرعت الام على صياح زوجها ، وصعقت عندما سمعت ابنتها تصرخ بوجه ابيها بوقاحة غريبة :

ـ بل سأخرج غدا ٠ وبدون سفساري ، ولن يقدر اى مخلوق أن يمنعني عن ذلك ٠٠ وجمدت الكلمات على شفتي الاب (وامتلا فمه) بالزبد (وحدق) في وجه ابنته وصاح بصوت يشبه حشرجة المحتضر ٠

ـ اخرسي يا كلبة يا بنت ٠٠٠

وهوى على وجهها بلطمة عنيفة افقدتها صوابها فلم تسمع نشيج امها وتصايح اخوتها بل استدارت وانهارت نحو الارض متشبثة بثوب امها ٠٠٠

ولما فتحت عينيها وجدت نفسها وسط سريرها ووجدت اصابعها متشبثة بطرف الغطاء واحست بصلابة حد السرير تحت خدها الايمن وسمعت امها تناديها للذهاب الى المدرسة ، وترامى اليها صوت ابيها ، يكبر الله ٠ وابتسمت للضوء المطل من النافذة شاكرة الله على ان الامر لم يتعد الحلم ٠

وبعد ايام اسرعت الناظرة مرة اخرى عندما سمعت عاصفة تصفيق جديدة تنبعث من الصف الرابع الثانوى ، وعندما اخبرتها التلميذات بالحدث الجديد ابتسمت لهن وانصرفت ٠

جـواد صيداوى

إبتسمي

قصة بقلم الطاهر وطار

كانت ترتجف وهى تخط العنوان التالى :

السيد المحترم عمر الناصر 397 نهج تربة الباى ــ تونس

ترتجف ، بجسدها كله ، يداها ، ركبتاها ، نهداها ، ولم يزعجها ، ذلك فقد كانت فى زاوية خالية ولن يراها احد وهى على تلك الحالة انما الذى ازعجها ، هو أنها لاتعرف سبب ارتجافها ، هل هو الخوف ، أم الحب ، أم الالم ، والحق أنها كلها اسباب معقولة،ولعل واحدا منها هو ماجعلها ترتجف كان بها حمى ٠

وكانت مفاجاة لم تتوقعها قط ، ولن يتوقعها اى احد لو كان فى مكانها ، مفاجاة ٠ زادت فى اضطرابها ، وجعلت وجهها يحمر كانما كل الدم الذى يجرى فى عروقها تجمع هنالك فى وجهها ، حين رفعت راسها ، فوجدته أمامها ، يثنى يديه على صدره ، ويبتسم ابتسامته المعهودة : خبث ، ومكر ودهاء ، وسذاجة ، وبساطة ، وطيبة ، كلها مجتمعة فى آن واحد ، حتى اللامبلاة ٠

فكرت أن تقول له :

لقد سافرت ، ؟ حسنا انت اذن فى صفهم ، انك تتجسس لفائدتهم ٠٠٠

الا أن خالدا بادرها :

ــ ماذا فى الرسالة ، لابد ان اطلع عليها ٠٠

فردت عليه بلهجة حادة :

ــ لن تراها ، لقد ودعتنا وسافرت ، فلماذا عدت ٠ ؟

ثم تقدمت الى الامام بخطوات ، صوب صندوق الرسائل وقد ازداد ارتجافها ، واضطرابها ، فاقترب منها خالد وامسكها بعنف من كتفها قائلا :

ــ فتيحة انك تتجاهلين حقيقة يسرنى لو أراها مرسومة على جبينك باحرف بارزة ٠٠ اننى ابن عمك وخطيبك لاتتجاهلى هذه الحقيقة ، حقا لقد كنت مسافرا ، ولكن عدت لأودعك للمرة الثانية ٠٠ اننى

اعتلت وجه فتيحة مسحة ، لابد ان تكون من الغضب فقاطعته :

ـ عدت لتتجسس على ، لا لتودعنى ، انك ...

فقاطعها :

ـ المهم أن تناولينى الرسالة ، انك تخفين عنى اشياء ، اعرف ذلك منذ البداية ، انك تسخرين منى ، لكن كان عليك أن تكونى صريحة ، قولى الحقيقة ولن يخيفك شىء .. قولى : **اننى اعتبرك وضيعا لاتستحق حبى وعطفى** ، وسترين ، لن أتاثر ، **ولن أغضب ، لاننى اعرف رايك فى سلفا** ، انك منافقة مداهنة والغريب انك لاتعرفين ذلك ، ولا تعرفين أننى فى غنى عنك وعن حبك ، لقد كنت مسافرا لاعلم ابى بخطبتنا ، أما الآن فاننى اسافر لاعلمه بسفرى الى فرنسا .

وهم أن يختطف الرسالة من يدها ، الا أنها أسرعت

فالقت بها فى الصندوق فصرخ خالد فى ثورة :

ـ لك أن تعتقدى اننى وضيع سافل ، أما اننى ابله فلا ، لقد قرأت العنوان ، عمر الناصر 397 نهج تربة الباى ، سأخبرك غدا بكل مافى الرسالة . ثم انطلقت يده اليمنى ، ففاجأت فتيحة بصفعة حادة واردف :

ـ سأقول لابيك ، سأطلعه عن كل شىء ، ولو أننى اعرف أنه يعتبرنى مثلك وضيعا ، وليس سماحه لى بالاقتراب منك الا لغرض ، كنت أجهله ، أما الآن فقد اتضح السر ..

سقطت دمعتان كانهما حبتا لؤلؤ على خد فتيحة ، وحاولت ان تقول شيئا أن تفعل شيئا ، لكنها لبثت لحظة صامتة ، تنظر الى خالد ، ثم الى الصندوق الذى اودعت فيه الرسالة .

ماعساها ان تقول ؟ وما ذافى وسعها أن تفعل ، فى وسعها ان تقول ما بدالها وان تفعل ما تشاء ، لكن النتيجة ؟ النتيجة ماذا ستكون ؟ سيركب خالد راسه ، وينغص حياتها ، كان من حقها أن تشفى غليلها ، فتنتقم من خالد ، ولو بسبة ، لكن لا ، انها لاتملك اية امكانية ...

فكرت فتيحة فى كل هذا ثم التصقت بخالد وقالت بصوت ذليل كسير :

ـ أعدك بقبلة ياخالد ، بأكثر من ذلك ، فارحمنى ، لاتثر ضدى المشاكل ، اننى لا أتحمل حدوث أى مشكل ياخالد ، كفانى ما أعانيه .. حسبى ذلك ، اننى فى حاجة الى هدنة . ارتسمت على شفتى خالد تلك الابتسامة المعبرة عن كل المعانى المتناقضة ، والتى تمقتها فتيحة مقتا شديدا ، وقال بلهجة تنم عن ندم صاحبها :

ـ اعتقد اننى أعرف هذا الاسم ـ عمر .. عمر ، لى صديق اسمه عمر ، أما هذا اللقب فاننى اجهله ، الناصر ، الناصر ، أبدا لم اسمع بهذا اللقب

قط ٠٠ حسنا لن اسافر الا بعد ايام ، لاتخشي من شيء ، فلن اثير ضدك اى مشكل ، بل انني اتمنى لوانك تستعينين بي على حل مشاكلك ، انني لست وضيعا كما تعتقدون ، وامنحي لى انت فرصة لابرهن لك على انني عكس ما تعتقدين ، أما هي فسألتحق بها ٠٠٠

لم تجبه فتيحة بشيء ،ولم تحاول أن تفهم ما يعنيه بالجملة الاخيرة التي تلفظ بها ٠٠ انما القت نظرة اخيرة على صندوق الرسائل القائم في زاوية ربما لايعرفها الا القليل من سكان المرسى ، ثم القت نظرة أخرى على خالد ، وانصرفت تسير بخطى بطيئة مطاطئة الرأس ، يداعب شعرها الاصفر المبعثر على كتفيها وصدرها ، نسيم عليل ، عائدة الى دارابيها تأملها خالد وهي تسير ، اعجبه شعرها ، اعجبته قامتها ، اعجبته مشيتها ٠٠ اعجبته انوثتها الصارخة ثم تمتم :

ـ كنت أحبها لو لم تكن عربية ، ولو أنها ابنة عمي ، ومن دمي ثم اتجه قاصدا المحطة ، ربما كان ينوى الذهاب الى تونس ، ولربما كان الدافع الى ذلك هو التعرف على العنوان الذي خطته أنامل فتيحة منذ قليل وهي ترتجف عمر الناصر 397 نهج تربة الباى تونس

وفي يوم الغد ، وكانت الساعة التاسعة والنصف صباحا عاد عمر من سفر لم يدم الا خمسة ايام ، قضى منها يومين في بنزرت عند عائلته حيث كان ينوى ان يقضي عطلته السنوية كلها ، لو لم يشعر بالسام والضجر في الليلة الثانية ٠ ففضل العودة الى تونس التي يعرف أنه لن يقضي فيها عطلته الا متألما ، قلقا ، فدفعه ذلك الشعور الى المبيت بماطر ليلتين ، وبمنزل بورقيبة ليلة ، وها هو يعود ، فاتجه فور نزوله من السيارة الى محل سكناه ، ولم يكد يفتح الباب حتى وقع بصره على رسالتين ، انحنى فالتقطهما ، ولم يحاول ان يتعرف على خط صاحبيهما ، انما بادر ففتح الاولى وراح يقرأ :

« صديقي العزيز عمر ، زرت بيتك مرتين فلم اجدك وقيل لي انك متغيب منذ أربعة أيام ٠

سأعود غدا (السبت) 1955/2/24 عند منتصف النهار ، لعلك تكون قد عدت ، صديقك المخلص الذي يرجو ان تتقبل فائق تحياته : خالد

لم يكترث عمر كثيرا برسالة خالد ولا بموعده ، انما فض غلاف الرسالة الثانية ٠ فاعترته هزة ، وأحس بدقات قلبه تعنف وتتزايد ، عرف الخط ، خطها هي ، فتيحة التي لم تكتب له أو تحاول الاتصال به طيلة ثلاثة اشهر ماذا تريد ! لقد كان يظن انها نسيته ، ولم يعد يخطر ببالها ، حتى أنه كاد ان يطوى صفحة حبهما ، ويعقد قرانه باخرى ٠٠ كان الذنب على كل حال ذنب الظروف الى حد الان ٠٠٠

اسند عمر ظهره الى الجدار ، وراح يقرأ بنهم وشغف : « حبيب قلبي عمر »

اكتب اليك هذه الرسالة ، وانا اشعر انني في اعماق بئر عميقة ، بل انني بالفعل كذلك ، لابلغك صرختي : النجدة يا عمر حبيبي ، النجدة ... فان لم تسارع لانقاذي فستعلم بعد ايام انني غادرت الحياة ، وغادرها معي قلب يحبك .. لقد قررت الانتحار بطريقة أو بأخرى . ان عدمت نجدتك ، وسارت الامور في المجرى الذي هي عليه الآن ، وحتى اذا لم أمت ، ولم تسعفني الظروف بالحبال ، فالذي لاشك فيه هو ان الحاجز الذي يفصل بيننا الآن ، سيبقى الى الابد ...

اما كيف ذلك ؟ فها أنا أشرح لك كل شيء ... منذ الواقعة ، اى منذ اليوم الذي اكتشف فيه أبي علاقتنا ، فهددك بالقتل ، كما هددني أنا ، وحاول بالفعل ان يقتلني ، لو لم تخلصني أمي من مخالبه بمشقة ، منذ ذلك اليوم ياحبيبي .. انقطعت صلتي بالحياة ، بالعالم الخارجي..لم استطع أن اتصل بك ، بل ولم ار فائدة في ذلك ، وكنت اعلم انك لم تحاول الاتصال بي ، وحتى لو حاولت ، فلن تجد الى سبيلا ، ربما انك اتصلت بابي ، ولكن ذلك لن يزيد الطين الا بلة ، ان ابي فظ غليظ ، حقود سيصدمك ولاريب ، فلن تعود..

انقضت ستون يوما ، شهران كاملان ، ياعزيزي ، وأنا في سجني ذاك ، كل ما حولي متنكر لي ، يصرخ في .. انك مذنبة ، أبي ، لايكلمني ، ولايرفع بصره نحوي .. أمي تنظر الي في عتاب واشفاق وصمت ..! الفراغ المهول ، يطاردني من زاوية الى أخرى

ماذا اكثر من هذا لفتاة يعمر قلبها الحب ..؟ بل لفتاة اطلت على عالم الحب ..؟ ثم ...

ومنذ شهر ياحبيبي زارنا ابن عمي خالد ، فالح أبي على استبقائه لست أدري لماذا ؟ لعله ليتولى حراستي ... ولم اشعر بوجوده اول الامر ... لكنه اكثر من التودد الي .. وكان الوحيد الذي لاينظر الي بعين العتاب .. وقد وجدت في ذلك عزاء .. وسلوى .. حتى انه خطرت ببالي خاطرة ، هي سبب مأساتي الان .. لم يكن خالد يعلم عن الواقعة اى شيء ، وقد سرني ذلك ، بل وشجعني على تنفيذ ما خطر لي ...

قررت الانتقام ، من ابي ، من أمي ، من نفسي ، منك أنت ، من الحياة ، من المجتمع ، والثأر لنفسي ، لقلبي الجريح لحظي المغتصب ..

ولم تكن الوسيلة لذلك ، سوى خالد ابن عمي ، الذي ابغضه وأكن له الاحتقار ..

فانطلقت ، انطلقت ياحبيبي ، في ذلك السبيل ، منحته اول يوم بكل سهولة ما شقيت انت من اجله اياما ولم تتحصل عليه الا بعد عسر وعناء ..

اغمضت عيني ، وقربت شفتي من شفتيه وسرعان ما سرى التيار ، لقد خيل الى فى تلك اللحظة وفى غيرها من اللحظات ، ان الشفتين الملتصقتين بشفتي ، وأن الانفاس اللافحة الممتزجة بأنفاسي ، وان الصدر الذى يضمني اليه ، هى شفتاك ، وانفاسك ، وصدرك ، فوجدت لذة ما بعدها من لذة ، وشعرت بأسى عميق ، حتى اننى تنهدت هامسة :

ـ آه ياعمر حبيبى ..

قد يبدو هذا خيانة ، ولكن ماذا فى وسعى ان افعل ، أنى ابحث عنك ، وبينى وبينك حجب ، واستار ، وعوالم ، ابحث عنك ياحبيبى فسلكت طريقا ، انها طريق الخيانة ، ولكن أنا ابحث عنك ، وعن نفسى فى آن واحد . ان المرأة تجد حبيبها حتى فى الوسادة ، وقد وجدتك فى خالد الذى ابغضه واحتقره . ومهما يكن ..

فقد تطورت الامور بسرعة لم أكن لاتوقعها ، استسمح خالد من ابى أن ارافقه فى نزهة مرة ، فسمح له ابى بما اراد،لعل ذلك اشفاقا على ؟ ثم تكررت النزهات ذهبنا مرتين للسنما ، ومرات للشاطىء ، واكثر من مرة الى اكثر من مكان ... تحدثنا عن رجاء ووسيلة ، تماما كما كنا نحلم أنا وأنت بالمستقبل الزاهر ..

وباختصار ياحبيبى عمر .. النجدة ، النجدة ، لقد هويت فى اعماق بئر عميقة .. ان خالدا خطبنى وابى مسرور بذلك رغم انه غير راض عنه ، وينظر له بنفس النظرة التى انظر بها انا ..

على هذه الحقيقة استفقت ، انها مرة ، مزعجة فظيعة ، وأنا فى مازق ، مازق وضعت فيه نفسى بنفسى ، أو وضعتنى فيه الظروف . لا ادرى ...

اردت أن انتقم فانتقمت من نفسى ، وبحثت عنك فاضعتك ..

اسرع ، اسرع يا عمر ، لاتحنق على ، وافعل ما تراه كفيلا .. اننى رهن اشارتك فاسرع ، والا ..

المخلصة الى الابد فتيحة ..»

بينما لاتزال الرسالة بين يدى عمر ، تتراقص حروفها وتتشابك سطورها، حتى لكانها تريد ان تقفز من الورقة وتتبعثر فى كل مكان من المنزل ، بل من الحياة كلها ، فلا يكاد يحول بصره الى شيء ، حتى يبصرها تتراقص ، هى الحروف التى خططتها أنامل فتيحة ، ثم تمتم .

ـ وخالد لماذا يلح على الاتصال بى ..؟

ودون ان يجيب نفسه ، أطرق يفكر ، فيما يجب فعله ، فتيحة فتاة حمقاء ، بلاشك ستقدم على الانتحار ، ستنتقم هذه المرة بهذه الطريقة بعد أن

فشلت بالطريقة الاخرى ٠ عليه اذن أن يسعى لانقاذها بكل وسيلة ، فماذا يمكنه ان يفعل ؟ صحيح انه تقدم لخطبتها ، لكن ابوها صدمه صدمة عنيفة ، وخدش كبرياءه ، واهانه ، بالاستهزاء منه ٠ أية طريقة يتبعها ياترى لانقاذها انها منطقيا خائنة ، وغبية ، تستحق أن تنال جزاءها ، ولكن لا ، لا ، انهـا تحبه ، انها لم تفعل ما فعلت الا من أجله ، حتى الخيانة ٠٠ عليه هو أن يفعل شيئا ، ما هو هذا الشيء ياترى ؟ ايقربها ، قد يكون ذلك وقـد يكـون غير ذلك ٠٠ ولا يزال أمامه خمسة وعشرون يوما من عطلته ، يستطيع أن يفعل فيها شيئا ٠٠

استطـرد عمر :

ــ أن رأى فتيحة فى خالد ليس الا وجهة نظر ، ولربما هى تحتقره لانـه يحتقرها ، ويحتقر كل فتاة عربية ، ان له فكرة اشاطره فيها ، فالحب عنـدنا ليس الا بابا نفتحه للمشاكل والمئاسى ٠٠ ولكن مع ذلك فان هذا لا يستوجب احتقار الفتاة أو الشاب ، بل يستوجب دفعهما الى الثورة ، الى التمرد المعقول فهناك اغلال وقيود يجب تحطيمها ٠٠ على أولا أن اتصل بخالد ٠٠ ان اذهب اليه حالا ، فمن الحماقة أن لايعرف الانسان رأى خصمه ٠٠

وفى اللحظة التى قرر فيها عمر الذهاب الى المرسى وغادر محل سكنـاه فى طريقه اليها ، فى تلك اللحظة بالذات ، كانت فتيحـة تنظـر الى خالـــد باشمئزاز وهو يبتسم ابتسامته المعهودة ، قال لها :

ــ يجب ان نكون فى تونس قبل منتصف النهار ، ان اعصابك متوتـــرة ولاشك ، فعليك أن تتنزهى ، وتبدلى البيئة والجو ، ولقد اعددت لك مفاجـاة، لن أقول ان كانت سارة أم لا ٠ انها مفاجأة وكفى ،

فقاطعته :

ــ أريد أن أعرف هل أنت خصم أم صديق ، أما انا فاننى لا احبك ٠٠ بل

ــ عليك أن تغيرى رايك فى

حاولت فتيحـة أن تفهـم ما يعنـى ، وان تنفـذ الى اعماقـه فتقـف عـلى حقيقته ٠ فكان عليها ان تستعيد كل ما جرى البارحة فى دارهم ، لقد جرت حوادث عنيفة جدا ، ولكنها مع ذلك بسيطة لامعنى لها حين تفكر فيها الان ماذا جرى البارحة !

بينما كانت فى باحة الدار تفكر فى حبيبها عمر وما سيفعله حين يتلقـى رسالتها ٠٠ وما يمكن ان يطلبه منها من تضحيات لكى ينقذها ، بينما كانت كذلك وكان الليل قد أرخى سدوله ، وابوهـا فى غرفتـه يطالـع صحيفـة كعادته وأمها فى غرفة الاكل ترتب المـائدة ، اذ دخل خالـد ، نظر اليهـــا وابتسامته تلك لم تفارقه وتمتم

- فهمت كل شيء ان الفتاة العربية غير صريحة ۰ تلك مأساتها ۰۰

ثم دنف الى حيث أبوها ، ولبست تدرى ماذا دار بينهما بعد ذلك ، بل ولم تكترث حتى بهما ۰۰ انما بدا لها انها تأخرت في الاستنجاد بعمر ، وقد فات الفوت ، فلتكن الكارثة ، فاسرعت الى المطبخ ، حيث صعدت على كرسى ، وربطت حبلا بوتد فى اعلى الجدار ، ثم وضعته فى عنقها ، وقبل أن تتسلق الحبل ، وتبعد الكرسى برجلها زمجرت فى حنق :

- لن اتحمل حدوث اى مشكل ، لقد قلت له ذلك ، سأتصرف فى الحياة حسب امكانياتى ۰

وما أن كادت تصرخ صرخة مفزعة مرعبة حتى كانت امها تقف أمامها مشدوهة ، لاتدرى ما يجب أن تفعله غير صيحة :

- آه ، ابنتى ، ماتت ، يالكارثة ۰۰ لماذا ماتت ؟

فاسرع خالد وعمه ، وانحنيا عليها ، خلص أبوها عنقها من الحبل ، ثم رفع بصره الى فوق ،كان الوتد قد اقتلع ، حالما ابعدت المقعد من تحت قدميها، لم تمت اذن ! غير أنها مغمى عليها ، لعلها قد اعتقدت أنها ماتت فاستسلمت كما يستسلم كل من تفارقه الحياة ، تعاونوا فحملوها الى سريرها ، وهناك كان اول من تكلم هو خالد قال :

- كما كنت ذكرت لك ياعم ، لافائدة من الاصرار ، وأؤكدلك ان الحل الوحيد هو الذى اقترحته عليك ۰۰

فقالت أمها مخاطبة زوجها :

- كان عليك أن تنظر الى الامر نظرة واقعية ۰۰ انها ابنتنا الوحيدة ومن ادراك ۰

وفكر أبوها :

- حقا لقد كانت حمقاء ، ولو ماتت لكنت أقتله بدوره ۰۰ غير انه خاطب زوجته قائلا :

- انظرى ان كان الحبل قد جرح عنقها ۰؟

وهم أن ينصرف غير ان فتيحة فتحت عينيها الذابلتين وارتسمت على شفتيها العذبتين ابتسامة بريئة حلوة وقالت كأنها تهذى :

- حبيبى ، ماذا سيقول أبى يا ترى ؟ البنت نسميها وسيلة اما الابن فاننى اقترح رجاء ، ولك انت ان تختار له اسما ۰۰ اننى احبك يا عمر ۰۰ آه ترى هل يوافق أبى ۰۰؟

ثم صمتت وصمت الجميع ۰ وساد الجو سكون رهيب بديع وبعد لحظات قطعته

فتيحة وقد عبس وجهها ، وفارقت الابتسامة البريئة شفتيها العذبتين :

ــ لقد حذرتك ياخالد ، فلم حدثت أبى عن الرسالة ٠

كان أبوها قد غادر المكان ، ولايعلم الا الله فيما كان يفكر ٠٠ فاجابهــا خالــد :

ــ اقسم لك أننى لم أقل لابيك سوى أن عمر طيبا ، وأنه يستحقك وأننى عدلت عن خطبتك ، صدقينى ، اننى لست وضيعا كمـا تعتقديـن ٠٠٠ ثم ان عمر من اعز اصدقائى ولن أتوانى عن مديد المساعدة اليكما ٠٠٠

قالها بتأثر ٠ ثم غادر المكان ، دون أن ينتظر معرفة رأى فتيحة هل صدقته أم لا ؟

سمعت فتيحة صوت امها تخنقه العبرات ، وهى تمسح بيدها على شعرها ٠

ــ حرام الانتحار ، يابنتى حرام

ــ اليس زواجى ممن لا أحب حراما ٠٠ اليس حرمان محبين من بعضهما حرام ؟٠٠ ان الحرام كل ما أتاه ابى معى

ــ كنا نعتقد أنك أحببت خالد ٠٠٠

ــ كلا ، كلا ، انما كنت اريد الانتقام فحسب ٠٠ كنت أفعل مع خالــد ما حرمه على أبى مع عمر ٠٠ كنت أثار لنفسى ، اسمعى يا امى لـن أتـزوج خالدا ، كلفنى ذلك ما كلفنى ٠٠

بدأت اعصاب فتيحـة تتوتـر ، وشعرت أمها بذلـك فغادرتها ، بعد ان طمأنتها بأنها ستحاول اقناع ابيها بذلك ٠٠ وبعد قليل استسلمت هى لنوم عميق ٠٠ لعل الحظ اسعفها ، فرأت عمر فى المنام اثناءه ٠٠

استعادت فتيحة حوادث البارحة كلها ، بينما خالد كان يثرثر بما لاتدرى واخيرا همست :

ــ ماذا سنفعل بتونس ياخالد ؟ اعتقد انـه يجب ان اغير رأيى فيـك ٠٠ فرد عليها فورا ٠

ــانهضى يجب أن نكون هنالك قبل منتصف النهار وستعرفين فيما بعـد ماذا سنفعله ٠ ان المفاجاة يجب أن تاتى على حين غرة والا لما كانت مفاجاة ٠٠

وفى القطار ، راحت فتيحة تفكر ٠٠ انصرف فكرها فى آن واحد ، الى خالد الذى يجلس امامها ، ثم الى عمر الذى لاشك انه قرا رسالتها ، ثم الى ابيها ٠٠ وتساءلت فى سرها ، ما تنطوى عليه نفس خالد ياترى ؟ واية مفاجاة اعدها لها ؟ انه عرف عنوان عمر ، ولربما ذهب اليه ، ولعله صديق له بالفعــل ،

فوجده فى عرس ، فأراد أن تقف هى بنفسها على المشهد الرائع : عمر حبيبها بين احضان عروسه ! فتيأس بعد ذلك منه ،ولن يبقى أمامها سوى خالد او من يختاره ابوها ٠٠ لكن خالدا قال لها البارحة ، أنه حاول اقناع أبيها بأن عمر طيب ؟ اصحيح ذلك ٠٠ الا يكون ابوها نفسه يتئامر ضدها مع خالد ؟ كل ذلك ممكن وليس فى وسعها الا ان تنتظر المفاجاة ٠٠

أما عمر ذلك الشاب الانموذجى الذى نزل لها من السماء ٠٠ فاحبته من سويداء قلبها،كما أحبها هو٠٠عمر الحبيب أيكون قد نسيها وتزوج؟حينئذ لم يكن يحبها وانما ٠٠ ؟ أيدب اليأس الى قلبه بهذه السرعة صحيح أن الظروف

قاسية ، وأن اباها أو أى أب آخر ان صمم على شيء فلن يثنيه عنه أى اعتبار أم أن عمر بدوره راح يبحث عنها فى آخرى كما بحثت عنه فى خالد ـ فتورط ٠ لكن عمر ، يجب ان لايتخلى عنها بهذه السهولة ، ان اى عاقل يعرف أن الحب فى ارضنا بين اثنين اذا اكتشف فشل ، لكن المعجزات ٠٠ نعم فى بعض الاحيان تحدث معجزات فتجعل ذلك الحب ينجح فى آخر لحظة ٠

وأبوها ٠٠ أبوها ذلك الصامت كالقبر ، ماذا كانت مشاعره البارحة وهو يشهدها طريحة ، وحبل الموت فى عنقها الا يكون قد رق قلبه ، فأعاد التفكير فى أمر حبها ٠٠ فيسمح لنفسه بأن يتصورها مع عمر فى عرس ٠٠ ان عمر لم يأت ما يضره ، انه لم يفعل سوى أنه أحبها كما يحبها هو ، أبوها ، ولربما اكثر ٠٠٠

الحقيقة لايعلمها الا الله

وحين نزلا من القطار ، ركبا سيارة ايجار همس خالد فى اذن سائقها :
ـ 397 نهج تربة الباى ٠٠ من فضلك

فى ذلك الحين كان عمر يطوف بمقاهى المرسى باحثا عن خالد ، ولما لم يجده اتخذ قرارا محرجا : سيذهب الى دارها ويصعد الدرجتين ، ويدق الجرس ، ويسأل عن خالد فان وجده فحبذا ، وان اطلت عليه فتيحة فسيعرف ماذا يفعل ٠٠ وليكن ما يكون ٠٠

وهناك ، وبعد ان ضغط على الجرس ، انتصب كالتمثال فى انتظار الرد ٠٠

لم تخامره أية فكرة ثانوية ، يمكن أن تجعله يتراجع ، كان كل ما فى رأسه هو أن يرى خالدا أو فتيحة ٠٠ وان حدث غير ذلك ، فيتصرف كما تسمح الظروف ٠٠٠

وبالفعل حدث ما لم يكن يتوقع ، لم يخرج خالد ، ولا فتيحة ، ولا أمها

انما انفتح الباب ، وانتصب فيه رجل يتخطى الخمسين ، تبدو على ملامح وجهه الصلابة ، والغلظة ٠٠ التقت عيناه بعيني عمر ٠٠ كان الرجل هو والد فتيحة ! ! والد حبيبته ٠ ؟

انقضت فترة طويلة والرجلان ينظران الى بعضهما بعضا ، دون ان يقوى احدهما على التلفظ بكلمة ٠٠ كان رأس عمر يزخر بالافكار ـ وكذلك كان رأس والد فتيحة غير ان افكار هذا تختلف عن افكار ذاك ، كان كل منهما جيلا يقف تجاه جيل ٠٠ جيلان متناقضان متحديان لايربط بينهما سوى خيط واحد،هو فتيحة،لانها لم تستطع ان تتخلص من ايهما بل ولانها مزيج من الجيلين

فكر والد فتيحة ، أن ينقض على عمر ٠٠ أو يصرح فى وجهه :

ـ ايها الوغد ، ما الذى اتى بك ، لقد اشرفت على الهلاك بسببك ومازلت تطاردها ، اغرب من امامي والا صببت عليك جام غضبي ، فمزقت رقبتك كما كان الحبل سيمزق رقبة ابنتي ٠٠٠

وفكر عمر فى ان يتقدم نحوه ، فيقبل يده ، ويستعطفه كما فكر ان يقول له بلطف :

ـ سيدى انني لا ابحث عنك ، بل عن خالد او فتيحة ، لكن الاول تصورعنق ابنته والحبل يحيط به ، وهى طريحة مغمى عليها ، ورنت فى اذنيه اول كلمات رددتها فتيحة ، انني احبك ياعمر ، ترى ما سيقول ابى ؟

فاحجم عن التلفظ بأية كلمة وجمد فى مكانه ٠٠ كما تذكر عمر ان المنتصب امامه ، هو والد حبيبته الذى هدده بالقتل ، والذى طرده شر طرده ، لمجرد ان عرض عليه فكرة الزواج بابنته ٠٠

هم الاول ان يعود ادراجه ويغلق الباب وراءه كما هم الثاني ان يطأطئ راسه ، وينصرف فى سبيل حاله ، الا ان هناك شيئا يجعلهما يجمدان فى مكانهما ٠٠٠ هنالك فتيحة ، تفرض على كليهما ان يفعل شيئا من اجلها ٠
واخيرا جمع عمر قواه ، وقال بصوت هادئ :

ـ سيدى ارجو ان تكون قد نسيت الماضي ٠ كما ارجو ان تسمح لى فاقول لك ان ابنتك حمقاء ، وقد ٠٠٠

وقبل ان يتمم كلمته ، كان والد فتيحة يتقدم نحوه ٠٠ ظن عمر انه يريد به شرا ٠٠ وحاول ان يحدد موقفه ، وما عليه ان يفعله ، كما حاولت فتيحة فى تلك اللحظة وهى عائدة فى القطار مع خالد من تونس بعد ان ذهبا الى بيت عمر فلم يجداه ، ولم تعرف لماذا ذهبا اليه ٠٠٠ حاولت ان تفهم موقف خالد بالذات منها ، ومن عمر ، وهو يحدثها عنه وعن علاقته الوثيقة به ، وعن المأساة

التى حدثه عنها كثيرا ، وتألم من اجلها الما مبرحا ، دون ان يدرى هو ان ابنة عمه التى خطبها اخيرا ، هى الطرف الثانى فى المأساة ، ومما قاله لها ، أنه تمنى لو كان قد مد يد المساعدة لعمر ولها ، وانه يحب فتاة فرنسية ارتحلت الى مرسيليا ، وسيلتحق بها ، كما اوضح لها فكرته فى الحب فى البيئة العربية

كان خالد يتحدث بلهجة اقرب ما تكون الى الصدق غير ان فتيحة ، كانت تنظر اليه ، على انه يواصل نسج خيوط مؤامرة دبرها بالاشتراك مع ابيها ٠٠ ولما سألته :

ـ ماذا قلت له فى الرسالة التى تركتها له حين لم تجده ؟ ابتسم ابتسامته المعهودة قائلا :

ـ المحطة الاخيرة ، لقد بلغنا المرسى، ستعلمين فيما بعد فحوى تلك الرسالة وحينما بلغا الدار فوجئا بما لم يكن يتوقعا ، انتهى الى مسمع فتيحة صوت ابيها من قاعة الاستقبال مخاطبا خالدا ٠

ـ خالد ، انه هنا ،

فدفعها الفضول الى تتبع خالد لتعرف من هناك ٠٠ وما ان اطلت براسها ، حتى ولت الى الوراء مشدوهة وسريعا عاد اليها خالد مبتسما تلك الابتسامة وقال لها :

ـ الا تزالين تحتقريننى ٠٠ غيرى رأيك فى ، ابتسمى ٠٠ ابتسمى ٠٠ ان اباك يبتسم لحبيبك ، لقد تم كل شى ، هل فهمت ؟ ابتسمى ٠ ٠ وابتسمت فتيحة ، دون ان تدرى انها لو لم تتخذ موقفا لما اتخذ ابوها موقفه ذاك ٠٠

الطاهر وطار

لم يولد

قصة بقلم عبد الله القويري

أحس به فى هذه اللحظة فقط ‥ ولكنه احساس متجدد ‥ كأنه كان منذ الازل فى دمه ‥ منذ أن كان وجوده ‥ بل قبل أن يكون له وجود‥

وهو لايعرف السبب فى أن يستيقظ احساسه به فى هذه اللحظة ‥ اهو الرغبة فى ان يعرفه اكثر من معرفة الاحساس التى تغمره لحظة ‥ او لحظات ، ثم لاتلبث ان تتلاشى بعد حين ‥ ام ان هناك سببا آخر لا يدركه الآن ؟ !

ولكن الذى يدركه حقا ‥ هو أن احساسه به ‥ يزداد عمقا ‥ وغوصا فى داخله على مر الايام ‥ حقيقة قد يتناسى هذا الاحساس مرة ‥ وقد يتغابى عنه مرة ‥ وقد يأخذه مأخذ اللهو مرة ‥ ولكن الشىء الاكثر حقيقة ‥ بل الشىء الابعد من الحقيقة ‥ هو أن هذا الاحساس قد بدأ يستولى عليه تماما ‥ تماما ‥ لايجد منه مفرا فى النهار ‥ فى زحمة العمل ‥ ولايقدر على الابتعاد عنه ليلا ‥ عندما يلفه السكون فى غرفته ‥ احساس كان باهتا ‥ يزداد اشراقا رغما عنه يوما بعد يوم ‥ بل يتحول الى كيان حى ‥ يجرى ‥ أمامه ‥ فى رعونة التفتح ‥ والاندفاع ‥

– لا ‥ تعال

– بابا ‥ ته

وفى بداية تعلمه الكلام ‥ كانت هناك بداية للحياة لشىء أراده أن يكون بعيدا عن ذاته ‥ عن داخله ‥ ورد عليه

– ياولد ‥ ياشقى ‥

احقا هو شقى ‥ لا ‥ انها صفة اطلقها عليه فى لحظة ود ان يطلقها على نفسه ‥ على كيانه ‥ وجرى أمامه فى سرعة عجيبة ‥ لم يعرف كيف قدر عليها ‥ بل كيف وجدت مثل هذه المقدرة فى كيانه الصغير

– ياولد ‥ !

ترى لماذا يسميه بهذا الشمول ‥ ولماذا لم يناد عليه باسمه الذى أطلقه

عليـه يوم أن خرج الى الوجود ٠٠

الوجود ٠٠ وقبل ذلـك أيـن كان ؟

كان فى الوجود ٠٠ ولكن بكيفية غير هذه الكيفية كان فى بطن امـه ٠٠ عانت وجوده الارعن فى بطنها شهـورا ٠٠ ترى هل كـان احساس امـه به هو الاحساس الحقيقى وحده !؟٠٠

تلقفت بذرته فى لحظة ، وبدأ ينمو مع الايام ٠٠ بل مع لحظات حياتها ٠٠ كل لحظة كان له معها شأن جديد ٠٠ وكان شأنه يكبر ٠٠ وكلمـا أخـذ فى النمو داخلها أخذت العوارض التى لم تعدها تظهر ٠٠ بل لقد غيرت هـذه العوارض مجرى حياتها ٠٠ وكلمة « أوف » كثيرا ما رددتهـا ٠٠ ورأسهـا الدائخ كثيرا ما أرقدها ، وجوفها المتقلب كثيرا ما أفرغت ما فيه من فمها ٠٠ وكلمات كثيرة متعطلة داخل وجدانها ٠٠ ولكن عينيها تقولان بعضها ٠٠

ــ يالطيف ٠٠٠

ــ كل شىء بسيط ٠٠!

ــ أنت لاتحس بمـا أعانى ٠٠

أحقـا هو لايحس بما تعانيه ؟

ــ لا ٠٠ أنا أحس أكثر منك !

ودائما ما تتوقف الكلمات الصامتة بينهما ٠٠ ويتعلق بعضها فى الجو ٠٠ كانها قد نشرت على حبل غير مرئى ٠٠

وهل ينفع الكلام فى بعض اللحظات ٠٠ ولكن لابد من أن يقول لها كلمات كثيرة ٠٠ كلمات قد لاتعبر عن معانيها لحظات الصمت ٠٠

يريدان يقول انه يحس به وهو ينمو فى بطنها ٠٠ يحسه كانما ينمو فى داخله هو ٠٠ ويتحرك ٠٠ بل ويجرى ٠٠ فهو ابنه الذى ينتظره ويضمـه بوجدانه ٠٠ وظنها تكلمه أثناء ما فكر فى ذلك ٠

ــ هـــه

ــ لـم أقل شيئا ٠٠

أحقـا لم تقل شيئا ٠٠

لا ٠٠ لقد حدثته ٠٠ وان لم تنطق حديثها ٠٠ فهى ترد عليه دائمـا ٠٠ ولا تترك حديثه لنفسه من غير رد ٠٠ قالت « انك لم تحسه احساسى ٠٠

انك تحسه بوجدانك فقط ٠٠ برغبتك فى أن يكون لك أبن ٠٠ أما أنا ٠٠ فانه يتكون بداخلي ٠٠ قد يضربنى أحيانا ٠٠ وقد يميتنى ٠٠ وأنا أتحمله صامتة ٠٠ فى حب ٠٠ كيانى كله يحبه ٠٠ يريده حتى وان كان فى وجوده هلاكى ٠٠ أما أنت ٠٠ ، وسكنت خواطرها عند ما قاطعها ٠٠ ما ارعنه ٠٠ لماذا لم يتركها تتم ٠٠ حتى يعرف كل ما فى أعماقها ٠٠ ولكن أحقا قد قالت هى كل ذلك ؟ ! لابد وأن تكون قد قالته ٠٠ فنفساهما على اتصال دائم ٠٠ ولم تعوده الايام ان يخمن خطا ففهمه لما بينهما من حديث صامت دائم ٠٠ فهم صحيح ٠٠ ونهض مسرعا ، واوقد سيجارا واتجه الى النافذة ٠٠ فلا بد من أن يرد على خواطرها ٠٠ والا أحست بتغلبها عليه ولكن اليس فى حديثها صدق واحساس ٠٠؟

ألم تقل ما قالته وهى مخلصة ٠٠ معانية ٠٠ ؟

وجاءه الجواب من أعماقها بعد أن اختلطت بأعماقه :

« أنا صادقة ٠٠ وأعرف أنك ستغضب من نبرة الاعتزاز ٠٠ كما أعرف أنك لن تقبل ذلك فى بساطة ٠٠ وأدرك أن احساسك به ربما سبق احساسى ٠٠ ولكن ألا بد لك من هذا التمسك الصارم بالموقف ٠٠ انه ابنى ٠٠ وهو ابنك ٠٠ انه شيء أكبر من التحديد ٠٠ والاقتسام ٠٠ أتسمع ٠٠ » وسمع ٠٠ وضحك فى تودد ٠٠ واقترب منها فجأة ٠٠ ففزعت ، ولكنها استكانت اليه ٠٠

وكبر من فى بطنها ٠٠ وكثرت مضايقاته ٠٠ فهو يريد أن يخرج الى الوجود ٠٠ أحقا اشتاق الى الوجود ٠٠؟

نعم ٠٠ فهو يريدنى ٠٠ أنا ٠٠ يريد ان يعيش بيننا كائنا له وجوده ٠٠ فهو يحس بوجوده ٠ ٠ لا ٠٠ لا ٠ ٠ هو لايدرك وجوده ٠ ٠ ولكنه يحسه ٠٠ فهل يعرفه ؟

واستيقظ فجأة كأن شيئا لدغه ٠٠ فى أعقاب ليلة مجهدة ٠٠ والظلام حولهما يسيطر فى قوة ٠٠ ترى لم أطفأت المصباح ٠٠ ؟

وهى ٠٠ اين هى ؟ !

ومد يده مترفقا ٠٠ ولكن رعشة هائلة تسيطر عليه ٠٠ حتى انه لم يحس بأنفاسها وهى تتردد الى جانبه فى هدوء ٠٠

وصدمت يده صدرها ، فاستيقظت :

ــ ماذا ؟

ــ لا شيء !

ـ اذا ٠٠ !

ـ أطفأت المصبـاح ! ؟

ـ كان الضوء يضايقنى ٠٠ أخفت من الظلام ؟ !

ـ لا ٠٠ ولكن ٠٠٠

ـ ٠٠٠

ـ ولكـن ٠٠٠

ولم تشأ أن تثير كلماته ٠٠ فتركته يردد هذه الكلمة ٠٠ والنعاس مازال يسطير عليها ٠٠ ورغبة فى أعماقها أن تتركه منفردا ٠٠

وتضايق من وحدته فى الليل ٠٠ وليس من عادتها أن تتركه مستوحدا فى الليـل ٠٠ !

هل أحست به فى احشائها يؤنسها ٠٠ فلم تعد فى حاجة الى ايناسه ؟

أما أنا ٠٠ فانى أريده الآن ٠٠ الآن فى هذه اللحظة من الليل الهادئة ٠٠ سيكون هادئا ٠٠ لايثير الصخب ٠٠ ونظراته تائهة باحثة عن ادراك مـا حولها ٠٠ نظراته كنظراتى ٠٠ بل هى نظراتى غير الواعية ٠٠

وأمد له يدى أناغيه ٠٠ ويحرك يده ٠٠ وأقبلها ٠٠ وابتسم ٠٠ وأضحك ٠٠ وأحمله وأنا أجرى ٠٠ وأحمله وأنا جالس ٠٠ وأمه بعيدة ٠٠ تتركـه كأنها لاتهتم به ٠٠ وهى فى قرارة نفسها تتابعـه ٠٠ وعنـد ما اهتـزت يداى ٠٠ وكاد يسقط منـى ٠٠ جفلت فى مكانهـا ٠٠ وكنت أحسبهـا عنـا لاهيـة ٠٠

ـ وقت عملك ٠٠ ؟ !

ـ نعـم

ـ ميعـاد العمل ؟

ويتجاهل تنبيهها ٠٠ ولا تتركه ٠٠ وتعلق ساخرة :

ـ كأنك أنت أمـه !

وتضحـك ٠٠ ويجيبها

ـ أنا أمه ٠٠ وأبوه ٠٠

ويشرق وجهها ٠٠ كانما انبلج فيه ضوء جـديد غـامر يـأتى من بقعـة

بعيدة ٠٠ بعيدة ٠٠ لا ٠٠ انه لا يأتى من مكان ٠٠ ضوء مطلق يملا الدنيا حوله ٠٠ ويمد يده ليكلمها فى الوقت الذى حمل ابنه ٠٠ باليد الثانية ٠٠ ليضمهما الى صدره ٠٠ الى أعماقه البعيده فيشمل الضوء فى الوقت الذى يشمله فيه الضوء ٠٠

ويسقط المصباح بعد مالطمته يده ٠٠ ويكاد الظلام يشمل الغرفة ٠٠ الا أنه يسارع باعادة المصباح الى مكانه !

ولكن هو أين كان بأمانيه وأحلامه ؟!

لقد جعله الاجهاد والسهر المتوالى ٠٠ يعيش فى أمنياته ٠٠ يعيش فى اعماقه البعيدة ٠٠ وكانت لحظات عاد بعدها الى وحدته ٠٠ فى غرفته المنفردة فوق سطح أحد المنازل البعيدة ٠٠ والليل حوله ساكن ٠٠ والمدينة غافية ٠٠ والاحلام الكبيرة والصغيرة ٠٠ تملا الجو حوله ٠٠ وردد فى نفسه :

ـ أما احلامى ٠٠ فربما كانت حقيقة ٠٠ انها حقيقتى التى لم يعرفها أحد ٠٠ ؟ !

ونهض ليبقى واقفا مدة من الزمن ٠٠ يعود بعدها الى متابعة ما يكتب فى تدفق ٠٠ وقد علت شفتيه بسمة آملة حنون ٠٠ ونظراته تخترق الجدار الذى أمامه محاولة الوصول الى المستقبل ٠

(عبد الله القويرى)

ليس غير المطر

قصة بقلم حسن نصر

تحركت « رفيقة » بحذر ٠٠ تريد مفارقة الفراش ٠٠ انها قد سئمت البقاء هكذا مستلقية الى جانب طفلتها ، والنوم بعيد عن عينيها ٠٠ ومدت يدها الى زر النور تريد اشعاله ، ولكن النور لم يرد ان يشتعل ٠

واخذت تتلمس فى الظلام طريقها الى الخزانة ، علها تعثر فى بعض ادراجها على قطعة من الشمع تضيئى بها الغرفة ٠

وبعد فترة من البحث ٠٠ عثرت على قطعة الشمع ٠٠ فاضاءتها ، ثم وضعتها على متكا السرير الى حيث تنام طفلتها ٠٠ وطفقت تجول بعينيها فى اطراف الغرفة ٠٠ ثم عادت تنظر الى طفلتها ٠

انها تنام ملء جفنيها ٠ يد على صدرها ، واليد الاخرى مبسوطة برخو على الوسادة ٠٠ تماما كما كان يفعل والدها وهو نائم ٠

ترى هل نسيها ٠٠٠ والا فأين حبه لها ٠٠ اين لهوه ومرحه معها ٠٠ هو الذى كان لايفتأ يشيع فى البيت جوا من الغبطة والنعيم ٠٠ وهو يركض خلف طفلته ٠٠ او يمرح معها بالكرة ٠٠ او يقفز فى اثرها ٠

اين هو ابوك يافتاتى ٠٠ لقد قبلك وملا جيوبك بالحلوى ٠٠ وقال انه سوف يأتى ٠٠ ورغم انك رفضت عليه حلواه ٠٠ ورغم انك بكيت ٠٠ لم يزد على ان دفعك عندى وانصرف ٠

وارتعشت ذبالة النور فى عينى « رفيقة » ثم تلاشت مخلفة فى اثرها الظلام ، وصوت العاصفة ، والمطر ٠

انه الهواء ينفذ من فجوات الباب ٠٠ ومن خلال زجاج النافذة المحطم ٠٠ هو الذى تسبب فى اطفاء الشمعة ٠

ولم يكن على « رفيقة » بعد ذلك الا ان تعود للاستلقاء الى جانب طفلتها ٠٠ ولكنها كانت تحس برغبة تدفعها الى متابعة السهر ٠٠ فاعادت اضاءة الشمعة ٠٠ ثم اخذت بعض الحرق ، وتحركت تجاه النافذة تريد سدها باحكام ولكن طرقات على الباب خفيفة حذرة ٠٠ سمرتها فى مكانها ٠٠ فاجابت

ـ من الطـارق ؟

ـ افتحى .. افتحى .. انا .. صلاح

واندفعت تجاه الباب تفتحه .. وقد ارتسمت على وجهها ملامح التعـب والغموض .. ودخل صلاح مبلل الشعر مبلل الثياب .. وبادرته زوجتـه قائلـة .

ـ اين كنت طول هذين اليومين ياصلاح .

ـ هـا انـاذا

ـ ولكن لماذا لم تقل لى اين ...

واخذت يده المبلله تقوده داخل الغرفة .. وهى تنظر فى عينيه ثم اردفت

ـ ما بالك هكذا .. انى **قلقة جدا من اجلك** .. ثم ان وجهك يبدو شاحبا

ـ رفيقة ـ كونى عاقلة .. انى تغيبت بسبب العمل

ـ بسبب العمل .. ولكنك لم تخبرنى بذلك .. ثم انك كنت تبدو غير طبيعى حين غادرتنا لآخر مره

ـ على العكس .. لقد كنت فى اتم طبيعيتى .

ـ طبيعيتك .. طبيعيتك فيماذا .. فى ترك ابنتـك تبكـى من غير ان تلتفت اليها .. فى تركى انا واقفة على عتبة الباب دون ان ترانى .

واخذ صلاح يطيل النظر فى عينى « رفيقة » .. ثم نجأة حول راسه عنها فى اتجاه ذبالة النور .. وقال فى لوعة الذى افاق فأنكشف واقعه المر .

ـ الم يحضروا للبحث عنى ؟

وتطلعت ـ رفيقة ـ اليه مذعورة ، ثم قالت :

ـ من هم الذين سيحضرون للبحث عنك ؟

ولما لم يجبها ... اخذت تقترب منه الى ان قاربت نهودها البارزة تلامس جسده المبلل .. واضافت قائلة ووجهها مربد

ـ .. وتقول انك فى اتم طبيعيتك .. غياب عن المنـزل .. عـودة فى آخر الليل .. وجه شاحب .. ثياب بللها المطر .. وأخيرا .. مهدد بالقبض عليك .. يا الهى تبدلت الى هذا الحد .. انى لا اصدق ان تكون انت .

وتقهقرت الى الخلف ، وعيناها على وشك البكاء .

ـ لاتزعجى نفسك من اجلى يارفيقة ·

قال صلاح هذه الكلمات بلهجة الذى فى صدره ألسم ·· وهو يرقب وجهها ·· وذبالة النور ·· والطفلة النائمة ثم اردف قائلا :

انى لم اعد افيدكما فى شىء ·· وربما بعد ساعة او بعد يوم يلقون على القبض ·· انهم يتعقبوننى · · بعد ان علموا بمشاركتى فى صنع ـ القذائف اليدوية ـ ضمن افراد المنظمة التى قبضوا على جل رجالها ·· انى لست اخشى · على حياتى ·· لان الحياة تحت غريب يأكل من زادى ، ويذلنى ·· ليس من اللازم ان نحياها ·· واريدك ان لاتخشى شيئا انت الاخرى يارفيقة ·· فنحن بطبعنا معدمان ، فقيران ، تعسان ·· فلنحاول على الاقل ان نأتى أى فعل ·· يثبت اننا اثرنا ضجة فى يوم ما ·· خير من ان نفارق هذه الحياة صامتين مثلما قدمناها صامتين ·

كان صوته متزنا رزينا ، يشبه صوت انسان تعود ان يذنب فى حياته·· وبالرغم من الثورة التى كانت تعج فى نفس « رفيقة » ·· فقد استحال عليها ان لا تلاحظ الاضطراب والقلق يغمان وجهه وهو يتحدث ·

وخالطها شعور غامض تجاهه ·· ودت لو تضمه الى صدرها ·· وودت لو تلقى به بعيدا عنها على الارض ·· احست بالشفقة عليه ·· واحست لو تصفعه فى وجهه ··

وسادت فترة صمت ·· ثم انها همت ان ترتمى على صدره تبكى ·· ولكن الدموع تجمدت فى محاجرها ·· لقد فاجاءهما صوت سيارات تقف امام الباب ·· ورجال يقفزون على الارض ·· نعالهم تدق كنعال الجند ، واصوات مختلطة ·· ثم دقات قوية كالرعد على وجه الباب ·

ورفعت رفيقة عينيها الى صلاح ·

كان يقف وسط الحجرة ·· والماء يتقاطر من شعر رأسه ·· ومن وجهه ·· ومن اطراف ثيابه ·· ويسيل من تحت اقدامه فى ساقيه الى عتبة البيت ··· وذبالة النور والطفلة النائمة ·· وصوت تساقط المطر ·· ولا شىء اكثر من ذلك ·

حسن نصر

"الفراغ الحلو"

بقلم الدكتور علي شلق

ما بيننا حبة رمل هوت ... فى شاطىء ضل عليه الهدى
يلفها النسيان ، ما خاطر ... مر ببال الوهم اعمى المدى
كأنها من عدم ازرق ... او نسمة فى الليل مرت سدى

❀❀❀

ما بيننا مر كان لم يكن ... سرابه ينساب فيه الردى
دمعة شحاذ غريب السرى ... فى قفزة لا تلهم المقصدا
فى خطوة الامس على نسيه ... ارهاصة ان لا يلاقى غدا

❀❀❀

ما بيننا النسيان ، اى كرى ... بحت روى فيه ومات الصدى
لمت قلبى وصرفت الهوى ... قلبى غدا من سام موصدا
مد الفراغ الحلو فى داخلى ... براعما بيضا وبرد ندى
يخضوضر الصمت ويشدو هنا ... ما اروع الصمت اذا انشدا
قد يضحك البلبل اما شدا ... ويلهم الليل اذا غردا

ذكرى نار

بقلم جعفر ماجد

ذكراك أعيا أمرها طيفا سلاه المضجع
تمضي به كالريح في غير اتجاه ترتع
لا الليل يدرى سره لا النهر ، لا المستنقع
فالايك ظل راحل والطير ليست تسمع
والعيش هزل آثم والحسن وهم يخدع

* * *

ذكراك نار أضرمت جذواتها فى حسه
يشقى بها لكنه يحيا رؤى من أمسه
أيام اضحى قلبه يسقى الهوى من كاسه
أيام كانت نفسه كالزهر فى فردوسه
فاليوم يسعى واجما فى غفلة عن نفسه

* * *

ذكراك همس ناغم ألغازه لا تفهم
يأتى به الاصباح فى اشعاعه والانجم
يهتز فى احلامه ـ ياويحه كم يحلم ـ !
يدعوه فى ابهامه فى قوة لاترحم :
« قم حيها قد اشرقت قد رق منها المبسم ! »

* * *

يلقاك ثغرا باسما يلقاك فى راس الطريق
الشمس يلهو نورها فى بحر عينيك العميق
والريح تعدو حرة فى شعرك الساهي الدقيق
لكنه يبقى كمن لايملك الحس الرقيق
يرنو بطرف ميت يرنو بقلب لن يفيق

* * *

ياويحه ! قد كنت اذ تمشين بالامس القريب
كالسحر خلاب النهى كاللحن يجتاح الدروب

تحيين دنيا غضة فيها شموس لاتغيب
تشدو بها أحلامه للحب مثل العندليب
فاليوم تدعوه الخطى والقلب يأبى أن يجيب

* * *

ياويحه ماذا يرى هل ربة صلى لها
قد شردت بين الورى فى الارض تبلو هولها
فانجاب عنها قدسها والناس داسوا ظلها
مسحات سحر آفل توحى بما قد نالها
أم صورة من وهمه والعين تخفى جهلها ؟

* * *

« هوليود » تدرى ميادهى تلك العيون الحائرة
فى حضنها قد أقبرت بيض الامانى الطاهره
والحب طيف واجم بين النوادى الساهره
ترثيه شهب لم تمتها الشاهقات الباهره
هوليود ضمت حلمه هوليود تلك المقبره ! !

جعفر ماجد

حبّ

بقلم عبد المجيد بن جدو

أنا أهواك وربي آه لوتدرين حبي

* * *

آه لوتدرين مابي من تباريح عذاب
لرأيت الفرح الاسنى مقيما في مصابي
ورايت الحب الهاما ووحيا في كتابي
ورأيت اللوعة الجذلى بأكوابي وشربي
أنا أهواك وربي آه لوتدرين حبي

* * *

آه لو تدرين يامغريتي قلبي وروحي
لرأيت الألم المضني نبعا من طموحي
حدثيني بالذي تلقين من شوق وبوحي
انا بحت اليوم بالشوق الذي هدهد قلبي
أنا أهواك وربي آه لوتدرين حبي

* * *

لو ترين اليوم ما يجتاح من بلواك صدري
بالذي أدريه من حبي ومما لست أدري
لرأيت الأمل البسام في جنبي يغري
وفتى مهما تناديه على رغم يلبي
أنا أهواك وربي آه لوتدرين حبي

* * *

أترعي باللهفة الخرساء يا أوهام كأسي
واسكبي من روحك الالهام آمالا بيأسي
وذريها تعبر الآفاق كالاطياف نفسي
تنقل الخطو كطيف الحب في شرق وغرب
أنا أهواك وربي آه لوتدرين حبي

عيد بلادي

بقلم نور الدين صمود

* يفكر الغريب العائد الى موطنه فى الهدايا التى يقدمها الى اهله • وفى أيام الاستعداد للعودة من لبنان ـ السنة الماضية ـ كانت تونس تستعد لاعياد الجمهورية ففكرت فى هدية اقدمها الى بلادى فى عيدها العظيم وحل العيد وكنت فى طريقى الى موطنى فاكتفيت بهذا القصيد الذى اهديه اليه :

لبنان ••• ماذا انتقى •••
ليومها المزوق ؟
سرب فراش انتقى •••؟
جناح بلبل منمق ؟
فراشة لم تخلق ؟
ملفوفة فى الشرنق
فى الجو لم تنعتق
لكى تحوك ثوب عرسها « الموسق » ؟
اواه يالبنان ماذا انتقى ؟؟
من رقة الجناح والفراش

***

وكرمة لها انسراح واعتراش
وحلم اوهامه لم تعرف انكماش
ومن حسناء الطهر•••او نعومة الرياش
سانتقى •••
عقدا من الماس النقى
لصدرها المزوق
لكى تتيه يوم عيدها المنبثق
الله يا لبنان ••• ماذا انتقى •••
من « أرزك » المنطلق •••
فى الجو عبر الافق ؟!؟

***

هل انتقى •••
احلام جيل غابر •••؟
رفيف الف طائر •••؟
خيال الف شاعر •••؟
ضياء الف ناظر •••؟
ام انتقى •••
من بهجة المناظر •••
وفتنة السرائر •••
ونفحة العنابر •••
ومن شعاع غابة المنائر
حلما جميلا فستقى •••
فى الوهم لم يرقرق
لكى تتيه يوم عيدها المنبثق ؟
الله يالبنان ••• ما ذا انتقى ؟•••
قل للشعاع : انطق
وغازل السمع النقى
عل الخيال يرتقى •••
عبر سحاب فستقى
فينتقى •••
لفجر موطنى المنبثق
اضمامة من الدعاء الزنبقى
من الف شيخ عبر دمعه المرقرق
وضحكة المنطلق
فى الجو عبر الافق
لكى تتيه يوم عيدها المنبثق ؟

ندوة القراء

المفكرون والثورة الكبرى

بقلم الدكتور فريد غازي

هذا تعليق على عدد « الفكر » الممتاز عن « الثورة الكبرى » ننشره عملا بحرية الفكر من غير ان « يلزم »أسرة المجلة الفكر



لعل الاجدر بنا قبل ان نحلل ما جاء في العدد الخاص بالثورة الكبرى ، ناقدين او محبذين ، ان نفهم القارىء المعنى الذى نعطيه لكلمة ولمفهوم « الثورة » والثورة الكبرى ، لكلمة ثورة معانى متعددة ، تذكرها القواميس وخاصة مرجعنا الاصيل ، - لسان العرب - ولكن ، نريد ان ننظر توا فى صميم المشكلة التى بحثها العدد الخاص من الفكر : هل تشكل الاوضاع التى نعيشها وهل تعتبر التراكيب الاجتماعية التى ظهرت فى تونس بعد الاستقلال « ثورة كبرى » .

ارى لزاما ، قبل ان نحلل هذه وتلك ان نعود بالتحليل الى الواقع التونسى هذا الواقع الذى « يتكيف » يوما بعد يوم هذا الواقع الذى ظهر بعد الاستقلال والذى نعد « البورقيبية » طابعه وخاصيته .

وها هنا ، أرى لزاما ان اعبر عن دهشتى لعدم وجود بحث عن « البورقيبية » .وما دام الرئيس ، كما وصف فى الصورة « قائد الثورة »، فمن المعقول ، ومن الطبيعى ان نحاول بحث البورقيبية ، بالنسبة الى معنى « الثورة » وبالتالى ، الى معنى « الثورة الكبرى »

ولم أجد كذلك بحثا عن معنى الثورة ؟ ولاهل هو ينطبق أم لاعلى الاوضاع فى بلادنا ؟ ولم اجد تحليلا للمفهوم الذى تبتغيه اسرة الفكر لها .

ولعل هذا ناتج عن فوضى القيم والمفاهيم التى نعيش عليها ، وناتج

عن الخوف الذى يجابهه بعضنا فى انفسهم حين يتصدون للحكم على واقعنا التونسى • حتى انك لتجد فى ما يكتبه غيرنا عن اوضاعنا ، يمتاز بطابع اوسع من الحرية وبنزاهة وصراحة اكبر ، حقا كل شىء ليس بكامل ، ولسنا من الذين يطلبون الكمال ، لكن من البين جدا ، اننا نستطيع ان نحور كثيرا من شؤون بلادنا ـ وليس الحكم ـ اعنى البورقيبية بمسؤولة عن هذا • ولاشك ان مقالة القرمادى قد اشارت الى ما يداخلنا من الحيرة أمام بعض الاوضاع غير العادية •

معنــى الثورة :

لا ارى حاجة فى ان اقول ان الثورة ، بالنسبة لوضع سياسى واقتصادى واجتماعى ما ، فى بلد ما ، هى قلب الوضع القائم ، راسا على عقب •

ولقد عرفت بعض شعوب العالم ، ثورات ، اهمها ثورة فرنسا سنة 1789 ، وثورة روسيا سنة 1917 والثورة الصينيةسنة 1950 وقد اتفقالناس علىان ينعتوا الاولىبالثورة البرجوازية، ـ لانها حافظت على نظامالملكية، وتركت وسائلالانتاج فى ايدى اصحاب رؤوس الاموال ـ وحافظت كذلك على نظام الانتخاب التمييزى • واتفق الناس على ان ينعتوا الثورة الثانية بالثورة الشيوعية ، لانها اشاعت الملكية ، واعادت وسائل الانتاج الى المنتجين وعممت نفوذ الدولة فى جميع ميادين الحياة

وهكذا ، اصبح معنى كل ثورة ، واصبح مفهوم الثورة مصطبغا بصبغة جديدة ، صبغة الانقلاب ، والمباغتة ، ويمكن ان نضيف الى هذا وتلك ، صبغة الانقلاب « الدموى » الذى لايقيم نظاما جديدا ـ على اسس النظام القديم ـ الا بعد قطف الرؤوس التى اينعت •

وكل ثورة • تقدمية • وصفة التقدمية ادت الى الا يطلق معنى « الثورة » الا على الحركة التى هدفها وضعا تقدميا ، او ان شئت ان تعبر عنه تعبيرا عصريا ، وضعا « يساريا » •

ولقد سمع الناس « بثورات » متعددة ، تطالب لنفسها بالثورة والثورية، ولكن الناس لم ينخدعوا ـ ولم يخدعوا ـ لهذا التزييف • فهم ادركوا ، ان حركة هتلر ، ـ النازية ـ وحركة موسلينى الفاشستية وحركة عبد الناصر وان ادعت صبغة الثورة ، فهى فى الحقيقة من الثورات « الرجعية » •

والثورات « العسكرية » المتوالية ، التى كان الشرق الادنى واميريكااللاتينية مسرحا لها ، قد علم الناس أنها هى أيضا ، ثورات « رجعية » وهكذا قام معنى الثورة ، على مفهوم الانقلاب (والانقلاب المباغت) وعلى قلب الاوضاع قلبا دمويا ، وقام معنى « المعاكسة للثورة » ، على مفهوم الرجعية والتحجر غير ان مفهوم الثورةومفهوم الرجعية ، قد ارتبطا ، ـ منذ ربع قرن تقريبا ـ بمفهومين جديدين •

اما الثورة ، فقد ارتبطت بمعنى الاشتراكية • حتى انك ترى وتسمع كل حركة ثورية قامت فى العشر سنوات الاخيرة ، تدعى ان « الاشتراكيـة » هدفها الاخير • ولا بد ان نشير هاهنا الى تأثير المبادىء « اليسارية » سواء كانت وجودية او مركسية على المفهوم الجديد ، الذى اصبح فى اذهان الشباب والكهول عن الثورة • ولا نتعدى الحقيقة ان قلنا ان العالم باسره كان يلـوح بانظاره الى الواقع الروسى ، والآن الى « الواقع الصينى » •

ولرغبت ان اجد تلويحا من المشاركين فى عـدد الفكر الى هذه المفاهيم ، والى هذه الحقائق ، ولاردت ان تدرس البورقيبية و «صيرورتها » ، بالنسبة اولا : للثورات الرجعية ـ عسكرية كانت ام سياسية ـ وثانيا : للثورات « اليسارية » ـ سواء برجوازية او مركسية ـ •

وذلك ، لانى اعتقد ، كما سنرى ، ان البورقيبية ، « ثورة » يسارية (1) وان كان يغلب عليها طابع « الاصلاح » •

ولكن لنعد الى تحليل فكرة العدد ، وروحه •

الاسلام والثورة الكبرى :

لست من الذين يربطون بين الدين والثورة • وان نحن لايمكن ان نربط بالمرة بين الاسلام ـ فى تاريخه ـ وبين ثورتنا الحالية ،التى قامت بالضبط، نفيا للقيم الاسلامية ـ او على كل حال ، اعتقد هذا ـ

ولهذا لم أجد شيئا هاما فيما قاله الاستاذ بو يحيى ولا فى ما جاء بـــه الاستـاذ غديره •

ولا يمكن بالمرة ، ان نستمر فى الشعوذة والنفاق الفكرى • فالاسلام لـم يكد يخرج من الجزيرة العربية فى القرن السابـع ، حتى استقـر فى ارض العراق ، وايران ، وسوريا ومصر والمغرب والاندلس ، واصبح « ايديولوجية» الطبقة الحاكمة • وسلسلة الثورات التى انارت التاريخ الاسلامى بانوارها الرهيبة ـ من ثورات الخوارج ، الى ثـورة الزنج الى ثـورة القرامطـة ، الى ثورات محلية متعددة لا أرى حاجة لذكرها ـ كل هذه الاحداث تؤيد لنا أن التراكيب التى اوجدها الاسلام ، والتى كانت قائمة على النظام الاقطاعى ، وعلى مجتمع اباح الرق (وكانت ثورة الزنج موجهة ضد هذا النظام الاجتماعى والاقتصادي الجائر) ، لم تكن لتوافق رغبة الانسان فى الكرامة والحياةالعادلة•

والذين يريدون ان يبحثوا عن « عقيدة عصرية » يبحثون عن امر يستحيل وجوده • ولقد اشار الفيلسوف جاك ماريتان Jacques Maritain فى كتابه « روح انسانية كاملة » Humanisme intégral الى الخطأ الذى يرتكبه عادة اوّلائك الذين يبحثون عن « دين جديد » •

---

(1) عليك ان تقارن بين ماكتبه الرئيس فى « تونس وفرنسا » ص 39 ـ 37 وبين ما كتبه ماوتسى تونغ Mao Tsé Toung فى « آثاره » ص 23 وما بعد
Oeuvres choisies T. I, 1926-1937

وما دمنا في ثورة ، وفي ثورة كبرى ، فمن خطأ الرأى ان نحاول اصلاح ما لم يعد ممكنا اصلاحه •

ولقد اصبح المسلم غير مسلم ، لان القيم الاسلامية التى عاش عليها « الرجل المسلم » ، قد امحت من عقليته • فهو لا يأبه لا بالمعروف ولا بالمنكر ، ولا يأبه لما عساه ان يعده البعض اثما وفسقا • فهو رجل جديد ، وعقلية جديدة ، وستزيد الايام في البون الذى يفصله عن ماضيه • وهذا الرجل ، اصبح يلوح بعينيه الى قيم أخرى ، ويطالب بتحقيق واقع آخر • الواقع الاشتراكى ، هذا الواقع الذى ـ مهما قلنا ومهما حاولنا ـ هو نفى للواقع الاسلامى •

من « رواد » ثورتنا الفكرية ؟

قلنا : البورقيبية نبعت من نفس الروح الذى نبعت منه الاشتراكية •• وقلنا ان الاسلام ـ وان بلغ تعلقنا العاطفى به ما بلغ ـ لايمكن بالمرة ان يكون القاعدة لثورتنا الجارية الآن بل ارى ثورتنا هذه نفيا للتراكيب التى عاش عليها القرون الطوال ، فهل يصلح ان نعد ابن المقفع ، وابن خلدون وابن ابى الضياف من رواد ثورتنا الفكرية ؟

وان كان هدفنا الاخير ، قيام نظام اشتراكى عادل ، فهل من الصالح ان نعد هؤلاء الكتاب والمفكرين روادا وقادة لنا ؟

اما ابن المقفع ـ هذا الرجل الثورى حقا ـ الذى مات شهيدا فى سبيل عقيدته ، وقد قتله « الحكم » خوفا من عدوى ارائه ، فلا بأس من ان نعده من رواد ثورتنا وارى لاختياره مغزى ومعنى لايخلو من دلالة فهو قد يكون المفكر الاسلامى الوحيد الذى جعل منه المفكرون رمزا للحرية الواسعة التى يطالبون بها لانفسهم ازاء « الحكم » • وهو على كل حال ، رمزا كلما وجدته ، ادركت ان هنالك ازمة • وان المفكرين العرب يعيشون فى ازمة ولقد بحثت ابن المقفع وعصره وأراءه ومصيره ومصير تفكيره بحثا طويلا •

وتفكيره اليوم ، يطالب بالانتماء اليه المفكرون البرجوازيون والمفكرون المركسيون • فهذا محمود المسعدى فى سانحة المباحث (ديسمبر 1945) ، وهذا فرحات الدشراوى (فرحات حشاد ـ الفكر) وهذا عامر غديره (مسافر زاده الخيال ـ الفكر) وهذا المنجى الشملى (دور المثقف على حقيقته فى مجتمعنا) وهذا المهيرى (العقل فى تراث ابن المقفع) ، يعربون عن أزمة التفكير وأزمة المفكر التونسى امام الواقع « الثورى » الذى وجدوا انفسهم فيه وهذا رئيف خورى فى رواية « ثورة بيدبا » وهذا صلاح نمر فى مجلة الطريق ، ـ لسان الاحزاب الشيوعية العربية فى الشرق ـ قد جعلوا من كتبه ، البذرة الاولى ، لحصاد نزاع الطبقات والداعى الاول للوعى ، والتوعية ـ التى هدفها قيام نظام اشتراكى فى البلاد العربية •

ولكن لا أرى ، والحالة هذه ـ كيف يمكن ان تعتبر حقيقة من رواد ثورتنا ابن ابي ضياف حقا ، ان تفكير ابن خلدون تفكير سابق لعصره ، لكن لابد أن يفهم تفكيره على حقيقته ، على حسب ما نريده ٠ وقد يكون ابن خلدون رائدا من رواد ثورتنا ولكن عند ذاك ، لابد قبل كل شيء ان نخرج البذور الكامنة في **المقدمة** ، وان نحلل مدى تقدميتها وابن خلدون ، وان كان قد عاش حياة « اقطاعية » وسار سيرة لاتخلو من « رجعية » وارتبط وربط حياته بالطبقة الارسطقراطية ، محتقرا « الغوغاء والعامة » ، كما يقول اكثر من مرة في المقدمة ، فتفكيره يحمل بذور « الثورة » ، ولا تخش ان تقول : بذور الثورة المادية (1) اما ابن ابي الضياف فلقد انتظرنا بفارغ صبر ان نعرف وجهه وما عرفناه منه ، يسمح لنا بان نعتبره ثوريا ومن رواد ثورتنا ٠

المفكرون والثورة الكبرى : (1) في الابراج العاجية

لا اريد ان اعود بالتحليل في هذه الفقرة لما قرأه الناس في بحثي بمجلة الاذاعة ٠ ولكنى اشير مرة اخرى الى لزوم الاندماج في ديناميكية التطور الحالي ، وان على المفكر ان لاينعزل عن الوجود وعن الشعب ٠ وكثيرا ما اسمع المفكرين يتحدثون عن الثورة وعن البورقيبية ٠ ولكن هؤلاء قد بعدت بهم حياتهم عن الحياة ٠ فلم اعد ارى منهم من يجلس للشعب في المقاهي الشعبية ، ولا من يعبر ، مختلطا كما كان يفعل قبل ، الطرق العامرة الطافحة بابناء وبنات الشعب ، (نهج الزرقون وسوق النحاس وسوق العاصر) بل ناءت بهم المثل العليا التي اقاموها نصب اعينهم كالاصنام (السيارة والمرأة والفيلا ٠٠٠) الخ عن ادراك ما في الواقع

(2) الاختصاصيون

ويقترب الاختصاصيون من الواقع ولا شك انهم حللوه تحليلا لايخلو من عمق ٠

فما قالته فتحية مزالي عن « النهضة الاجتماعية » وتحديد النسل » ، اشارة بليغة ، لمشكلة من اهم مشاكلنا ، ان لم نقل ام المشاكل في بلادنا ٠ ودراستها هامة ، وان نحن لايمكن ان نوافق ابدا على بعض خواتمها كما سنتعرض لذلك بعد حين ٠

وكذلك مقالة عزالدين قلوز عن « انبعاث الوعي الاقتصادي » مقالة اختصاصي ماهر ٠

ولكن ، ما نصيب الحياة ، ما نصيب ديناميكية الحياة من هذا البحث وذاك ٠

(1) انظر Yves Lacoste : **La grande œuvre d'Ibn Khaldoun**

مجلة **La Pensée** عدد 69 ، 1956 ـ ص ص 10 ـ 33 خاصة ص 32 ـ 33

البورقيبية : صيرورة او ما بين الفكر والفعل

كل ما يظهر فى مجتمع يتقدم نحو صيرورة جديدة ، هو نتيجة لتطور داخلى ، وعملية جدلية بين الماضى والحاضر بين الواقع والارادة فى تحويره ٠

والواقع ها هنا ـ هو هذا التخلف الضخم ، الذى ورثناه عن عصور الجمود والموت ٠ ولكن من الصعب ان لانعترف بان هذا الواقع قد دخل عليه التطور ٠

وهذا التطور ـ ما سمته مجلة الفكر بالثورة الكبرى ـ وان كان فى هذه التسمية شىء من المجازفة ، هو البورقيبية فى صيرورة ناتجة عن الفكر ـ البورقيبى ـ وعن عمل الحكومة البورقيبية ٠

وها هنا اريد العودة قبل كل شىء الى أمرين اساسيين ٠ الاول الى الفكر البورقيبى ، الذى يرتكز فى ايجاز ٠

ـ **أولا** وقبل كل شىء ـ على انقوة ، او انقلب الثورى La violence وفى هذه النقطة ، اريد الاشارة الى ان البورقيبية نزعة ثورية محطة ٠ ولا نطالع ماجاء فيما كتبه وما قاله الرئيس فى « تونس وفرنسا » La Tunisie et la France ولانحلل ماجاء فيه دون ان تقوم فى اذهاننا رابطة بينه وبين ماكتبه زعيم الفكر المركسى Engels دور العنف الثورى فى التاريخ Le rôle de la violence dans l'histoire فالبورقيبية ، قبل كل شىء ـ احببنا ام كرهنا ـ عنف ثورى ، ومواجهة ثورية للاوضاع والاحداث ٠ وهى تستلزم اولا وقبل كل شىء ـ القوة ، او العمل الثورى الايجابى ٠ ومن هذه الناحية ، تدرك معى ان البورقيبية « يسارية » وثورية »

ثانيا : تقوم على التفاهم والتصادق والاقناع الديبلوماسى ٠ ولقد عنون الرئيس كتابه بـ « خمسة وعشرين سنة فى سبيل تعاون حر » ٠

ولقد استطاع الرئيس ان يحل تونس مكانة عالمية ذات بال ، بفضل طريقة « التفاوض » و « المسالمة » ما امكن ٠ ولكن يقترف الذين يتحدثون عن البورقيبية ذنبا كبيرا حين يغلبون المظهر « التفاوضى » على الناحية « الانقلابية » وهذا غلط ، لان الرئيس نفسه قدم كتابه بجملة خالدة للزعيم والرجل السياسى الهندى جواهر لال نهرو ، « افضل الحرية التى تنال بالدماء والثورة على العبودية التفاوضية » ٠

وهى ترمى الى ان تكون الفكرة التفاوضية معززة مؤيدة بالقوة الثورية ، القوة العسكرية ٠ ومن هذه الناحية الشبه بين التفكير البورقيبى والتفكير الثورى المركسى يبدو بينا ظاهرا كل الظهور ٠

غير ان البورقيبية ، تبقى الى حد بعيد مرتبطة بالواقع التونسى ٠

البورقيبية والطبقات الاجتماعية

نقرأ في مقدمة كتاب فخامة الرئيس « تونس وفرنسا » ما يلي

« ان طبقة البرجوازية المتوسطة هي العمود الفقري للحزب الحر الدستوري · وعليها ان تجمع حولها في وحدة الطبقة البرجوازية الكبيرة والطبقة العاملة » ·

وهذا الحكم او هذه الحقيقة ، يكمن فيها مصير البورقيبية نفسها ·

كانت ، طبقة البرجوازية الكبيرة قبل الاستقلال هي الحاكمة للبلاد والمساكة لزمام الحكم · وكانت جماعة البايات ، وجماعات المماليك وطبقة الاثرياء الاقطاعيين والبرجوازيين الكبار (في المدن) ، تتمتع دون سواها بالحياة ·

واعتمدت الحماية الفرنسية على هذه الجماعات وابقت هذا الوضع على الحالة التي عرفتها له ·

ولكن التاريخ يتحرك ··· واذا بالطبقة البرجوازية الصغيرة تنمو وتستيقظ وتعبر عن مكانتها ·

وكان ما كان من كفاح ثوري في سبيل أخذ الحكم ، يذكرنا ولا شك بالكفاح الذي قامت به « البرجوازية » الفرنسية لاخذ مكانة انسانية في المجتمع الفرنسي · ولا شك في ان ارتقاء البرجوازية الفرنسية الى الحكم ـ بمعاضدة الطبقات الشعبية خاصة طبقة صغار عمال المدن وفلاحي الارياف ـ على شبه كبير بارتقاء البورجوازية التونسية الى الحكم اثر الاستقلال ·

وما دامت الحالة في تطور ، وما دمنا نوجه انظارنا الى « الثورة الكبرى » والثورة الكبرى يسارية تكون أو لاتكون ، والثورة اليسارية ، في كلمة وجيزة هي امتلاك العامل لآلة عمله ، والفلاح للارض التي يحرثها ويسقيها من عرق جبينه ، فمن الصراحة ان نقول بان صيرورة البورقيبية تهمنا ·

ونريد ان نقول ، معتمدين على ما قلناه عن شخصية الرئيس الثورية ، بان مصير البورقيبية وصيرورتها تكمنان في ائتلاف الطبقة البرجوازية الصغيرة والطبقات العمالية الشعبية ، لتطوير البلاد ·

واكبر خوفي ، هو ان يلتحق خيرة البرجوازية الصغيرة ـ كما بدأنا نشاهد ذلك ـ بالطبقة البرجوازية الكبيرة متناسين حقوق العمال والشغالين وسيكون اذ ذاك الوضع ثوريا · ولكن كما قلت ، لنا في شخص الرئيس واعضاده خير ضمان عن تقدمية النظام ·

الطبقة العاملة فى الحكم ؟

وقد يقول بعضهم ، اخطأتم ، انما الثورة الكبرى ارتقاء الطبقة العاملة للحكم . الثورة الكبرى : ديكتاتورية البروليطاريا والفلاحين (بالنسبة للبلاد التى يغلب عليها الطابع الزراعى) .

واريد ان اناقش هذا الرأى ما دامت بلادنا بلادا غير صناعية وما دامت الطبقة العاملة « المختصة » قلية العدد ، وما دمنا لم ننجح نجاحا كاملا فى توعية العمال ، فكيف يمكن لنا أن نتصور ارتقاء الطبقة العمالية للحكم .

واقول ان تونس ــ احببنا ام كرهنا ــ بلد يصطبغ بطابع البرجوازية الصغيرة . فالساحل ، الذى مد « الثورة » بخيرة ابنائها ، منطقة يغلب عليها طابع « الملكية الصغيرة » (1) واعنى بالساحل ، الساحل الجغرافى ، الذى يمتد من طبرقة الى بن قردان ــ وما دامت الحالة الجغرافية هكذا ، وما دامت الحالة والواقع الانسانى الذى يتولد عنها ، واقع « البرجوازية الصغيرة » فمن الصعب ، فى السنوات الاتية ان تقوم الطبقة العاملة بالحكم .. وان تضطلع به وثورتنا الكبرى هى فى الحقيقة اذا ، كما عبر عليها الرئيس تحالف البرجوازية الصغيرة مع الطبقتين العمالية والفلاحية . ولكن ، وما دمنا من البورقيبين ، وما دمنا من اليساريين فاننا نفضل ونؤيد تحالف البرجوازية الصغيرة مع الطبقة الشعبية ــ فى سبيل ايجاد جبهة متحدة ــ على تحالفها مع الطبقة البرجوازية الكبيرة . لان المستقبل للشعب

دور الحزب الشيوعى والشيوعية

وعجبت حقا ، وانا اطالع عددا خاصا بالثورة وبالثورة الكبرى ــ ان لا اجد شيئا عن الفكر المركسى ــ ولا عن موقف « الفكر » وأسرة الفكر ، من الفكر والواقع الشيوعى . التفكير المركسى ــ احببنا ام كرهنا ــ يعد اليوم من اهم ينابيع الفكر الحديث خاصة تفكير الزعيم والمفكر الصينى ماوتسيتونغ رئيس الجمهورية الشعبية الصينية وحتى الوجودية ، فهى اخذت تشرب من هذا التفكير الديناميكى الذى يجمع بين الفكر والفعل .

ولا شك فى ان موقف المفكرين التونسيين القوميين أشاح بوجهه عن الينبوع المركسى ــ خوفا او جبنا ، لاننا ، على لسان فخامة الرئيس صرحنا بان الشيوعية لاتلائم اوضاعنا . ولكن هؤلاء المفكرين اراهم على غلط لانهم مزجوا بين الشيوعية السياسية ، التى تحدث عنها الرئيس ، وبين الفكر الشيوعى نفسه ، ذلك الفكر الحى ، الذى لم ينكر فخامة الرئيس

(1) هذا الطابع الذى يسميه علماء الجغرافيا البشرية Caractère parcellaire

حاجتنا للتشبع منه وفى رايى انه لابد ان يلقح الفكر القومى التونسى ، بالفكر المركسى ، ـ فمثل يوغسلافيا ، الدولة الصديقة فيه عبرة لمن اعتبر • وكذلك مثل الرئيس احمد سوكارنو وكذلك الرئيس سوكوتورى وكلاهما قد جمع بين الفكرة القومية والفكرة المركسية ، جمعا رائعا ، ونرجو ان تكون صيرورة البورقيبية هكذا •

وارى عدم تلقح فكرنا القومى بالفكر المركسى نتيجة عن تخلف الحزب الشيوعى التونسى ودوره الضئيل ـ فى المعركة القومية للتحرير المسلح من الاستعمار ـ وكذلك عن دوره الضئيل جدا فى التعريف بالفكر المركسى(1) ولعله لو كان للحزب الشيوعى التونسى بعض المكانة فى المجتمع التونسى ، لتغيرت اوضاعنا الفكرية وعسى ان يتغير الوضع •

••• والقومية العربية

وعجبت كذلك ، أنى لم أجد ، ولو مرة واحدة ذكرى للقومية العربية • ولعل هذا ناتج عن شعور بمركب نقص يحس به عادة المفكرون التونسيون ـ من ذوى الثقافة الغربية ـ ازاء مفهوم القومية العربية فهم ، جهلا منهم ، يعدونها رهنا وحبسا على الجمهورية العربية المتحدة • والقطيعة التى تمت بين تونس وبين الجمهورية العربية المتحدة جعلتهم فى خوف مستمر ، فهم لايجسرون ان يتحدثوا عنها ولا ان يقولوا كلمتهم فيها بينما ارى ان مفهوم القومية العربية من المفاهيم التى يمكن ان تدخل عليه البورقيبية ـ وهى فلسفة ـ حددنا شيئا منها وسنحددها بعد ـ لا بأس ان نعرف بها الشرق الذى يجهلها ـ

نحن عرب • وهذا أمر لا اختلاف فيه • ونشعر ازاء كل الشعوب العربية بالاخوة ونحس ازاءها برابطة تاريخية ولغوية (ان لم تكن جنسية)

وما دمنا نعتقد ان من بين الفلسفات الحديثة التى على الانسان العربى أن يختار بينها ، توجد فلسفة هامة هى البورقيبية ، ارى لزاما ان نخوض المعركة مع مفكرى الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرهم من البلدان العربية وان لاتكون القطيعة بيننا وبينهم سببا لعزلتنا

وهذه الفلسفة البورقيبية نرى اهم مظهر منها فى العقلية الدينية الجديدة

البورقيبية وحرية الفرد والدين •

لم يفهم الناس عادة « الفعل » البورقيبى • فهم قد فسروا خطا تحديد الزوجات ، وفسروا غلطا حق المرأة فى الطلاق ، وذهبوا مذهبا غالطا فى

---

(1) يمكن ان نوجه للحزب الشيوعى ببلادنا الانتقادات نفسها التى وجهها الاستاذ Jean Baby فى كتابه الحديث الظهور الى الحزب الشيوعى بفرنسا ، باريس 1960 Critique de base

تفسير دعوة الحكومة للانتاج فى رمضان • وذلك لان هذه ناحية من النواحي التى ظهرت فيها اصالة البورقيبية • فهى ، ثورة الفرد المكبوت على الجماعة الكابتة • وهى انطلاقة الانسان ذى العقلية العصرية على القيم البالية •وهى تعبير جديد عن الروح الانسانية الجديدة Humanisme التى نريد ان نحلها فى بلادنا • وأخاف أن تتنافى هذه الروح مع اعمال كثيرة ـ منها ، وآسف لذلك ـ تحديد النسل (1)

فما دامت البورقيبية ثورة كبرى ، فلندع الانسان التونسى ينطلق انطلاقته الكبرى ـ دون اى قيد ـ مادي او جنسي على شرط ان نحاول ايجاد مستوى حياة مادية يتماشى مع ما نرجوه له من خير عميم

اوضاع ثورية وتراكيب ثورية :

جوابنا الاخير : الاوضاع التى نعيشها اوضاع ثورية : اهمها •

ـ حرية « القاعدة » التى تتجلى فى الانتخابات البلدية (2)

ـ حرية المرأة التى تتجلى فى مشاركتها للرجال فى كل ميادين الحياة •

ـ تونسة البلاد : الاسماء اصبحت تونسية (الوردية مكان بلفى والزهرة مكان سان جرمان ، والمنزه مكان كرميافيل) والشوارع والمحلات الكبرى كلها تحمل طابعا تونسيا

ـ تونسة الاقتصاد التونسي : وهذه اهم ثورة

ـ تونسة الثقافة : وان كانت هناك عوائق خطيرة لابد للحكومة ان تلتفت اليها •

ـ المكانة البارزة لاتى اصبحت لتونس فى المنتدى الدولى

ومعنى هذه الاوضاع ، ان التراكيب Structures قد تغيرت أو اخذت فى التغير • وتغير التراكيب التى يعبر عنها صعود الطبقة البرجوازية الصغيرة الى الحكم ، هى فى الحقيقة ثورتنا الكبرى التى سنعمل بكل قوانا حتى يعم خيرها الجميع •

(1)ان نحن اعتبرناه سبب الفقر • لان هذه خرافة يجب دحضها ، ولكن ، ان نحن اعتبرنا تحديد النسل عامل من عوامل حرية المراة وحرية « الاسرة » le couple فنحن نرحب به ، ونرجو من اختنا الاستاذة فتحية مزالى ان تعود للموضوع بل نتمنى ان يخصص الفكر عددا خاصا لهذه المشكلة

(2) انظر مقالتنا : الجمهورية ••• حكم القاعدة
مجلة الاذاعة عدد خاص بالذكرى 3 للجمهورية

اضواء الفكر

• القى فخامة السيد رئيس الجمهورية من على منبر جامع عقبة بن نافع بمناسبة المولد النبوى الشريف (3 – 9 – 1960) خطابا منهاجيا تعرض فيه – الى جانب مشاكل الساعة الداخلية والخارجية – الى بعض الاسس العقائدية والفلسفية التى يستند اليها فى عمله ويعتمدها فى كفاحه ويجد القارىء الكريم بعض مقتطفات من هذا الخطاب :

الرسول ··· مثال للعاملين المخلصين

فمن يوم قطعت على نفسى العهد بان اسخر حياتى واكرس جهودى لخدمة العروبة والاسلام فى شخص هذه الامة التونسية وفى هذه الرقعة الافريقية حتى انجيهما من الاضمحلال والتلاشى تحت نير الاستعمار ، كنت دائما ارجع بالتذكر والتفكر والاعتبار الى ما فى سيرة رسولنا الاعظم من مبادىء قارة وسنن حكيمة ، متدبرا من خلال اقواله وافعاله كيف اخرج شعوب العرب وشعوبا اخرى من حال الوثنية التى هى حال التدين الوهمى البدائى الى طور التدين الحق القائم على العقل الواعى المفكر وعلى العمل الصادق الصالح ، وكيف استطاع صلى الله عليه وسلم أن يخلق هكذا من شعوب كانت شتاتا من العشائر والقبائل أمة موحدة ودولة قوية ، وادركت ان السر الحقيقى فيما وصل اليه الاسلام فى صدره الاول من عظمة وقوة وحضارة وازدهار ، هو انه كان من أعظم وسائل فتح البصائر وتكسير الاغلال وتحرير الفكر البشرى · وان السر فى تقهقر المسلمين فى عصور انحطاطهم ، هو تنكرهم للعقل ونبذهم للفكر وتقيدهم بالنقل والتقليد وانصياعهم للدجالين من القادة ومن أهل التدين الزائف من فقهاء جامدين وصوفية اصحاب الطرق ، حجروا الفكر وعطلوه وحجروا معه الدين وجمدوه ·

العقل ··· شرف الانسان

وهكذا ذهبت فى طريقى متوكلا على الله وعلى الحق وعلى النفس ، واثقا من كون الاسلام يعتبران الفكر الانسانى آية الله فى الكون وان اعلى منازل الانسان عند الله ان يسير على هدى من عقله الذى ميزه الله به عن سائر المخلوقات وبهذه الطريقة يستطيع القيام بتلك الامانة العظمى التى عرضها الله كما قال فى كتابه العزيز على السماوات والارض فابينها ولم يقبل تحملها

الا الانسان ويقدر بواسطة فكره على تنفيذ ما أراده منه تعالى من عمل وخلق وانشاء وابداع وبناء وتشييد ، فيكون بذلك وفي المعنى الصحيح خليفة اللـه على الارض ٠

وعلى ذلك الاساس مضيت احرك في الشعب التونسي قوى الوعي المحلل للواقعات ومعطياتها ، والفكر المتعقل في الاشياء وطبائعها ، والارادة الفعالة المكيفة للاحداث وتطوراتها ٠ حتى عرف هذا الشعب كيف يتخلص من غرور الطفرات العاطفية البدائية ومن الاغترار بأهل التدجيل والمغالطات اللفظية ، وتدرب على تدبير خططه في كفاحه على ضوء التفكيـر الصحيـح والواقعيـة البصيرة والمنطق الثابت وتوصل الى جعل تحريره واستقلاله نتيجة حتميـة هيألها الاسباب من الاحداث والوقائع ومهد لها السبيل من تسلسل الامـور وتيارات التاريخ ومجاريها ٠

وهذا المصباح ــ مصباح العقل والفكر الذي هو قبس من نور الله والـذي أنار سبيلنا حتى وصلنا الى الاستقلال والنصر ــ هو الذي استنرنا به بعـد استقلالنا في تدبير شؤوننا واصلاح امورنا وتعقل ديننا واختيار سياستنا وتوجيـــه مساعينا ٠

فبعد ان انتهينا بالنصر من الكفاح السياسي اقبلنا بكامل قوانا على الجهاد الاصلاحي ، ودخلنا في معركة جبارة لمقاومة التخلف الاقتصادي والاجتماعـي والفكري ذلك التخلف الذي ورثناه كما ورثته سائر الامم العربية والاسلامية عن عصور الانحطاط وتسبب لنا كما تسبب لها في استعباد رقابنا واستعمار اراضينـــا ٠

الاستقلال نقطة انطلاق ومسؤولية

فلم نرض ــ كما قد يكون رضي غيرنا ــ بأن يكون الاستقلال خاتمة ونهاية ومجرد غنم سياسي أو فوز أدبي ٠ بل اردناه نقطة إنطلاق جديدة منها نبـدأ السير نحو مصير افضل وأسعد ، ووجدنا الفاقة والجوع والعراء والبطالـــة تفتك بأغلب طبقات الشعب ، ورأينا الامراض والآفات وفقدان وسائل حفظ الصحة تنخر كالسوس أجساد الافراد وهيكل الامة نخرا ظاهرا ودفينا ، كما وجدنا الجهل يقتل معظم امكانياتنا البشرية ويمنع من تكوين اطاراتنا الفنيـة وغير الفنية ويعرقل تقدمنا في جميع نواحي حياتنا القومية ، فوضعنا الخطط اللازمة واشهرناها في حماس وقوة حربا عوانا على جميع تلك المظاهر مـــن التخلف وغـايتنا ان نكون مجتمعا جـديدا ، تتحقق فيه لجميع افـراد الامـة السلامة في الصحة والرفاهية في المآكل والملبس والمسكن واكتمال الانسانية بالعلـم والتـربيـة وحـريـة الفكـر ، حتى يحصل لجميعهم حسا ومعنـى ماسميناه بفرحة الحياة ٠ كل ذلك منا على اساس ان للانسان في هذا العالـم جهادا ، وان لذة الانسان وكماله في هذا الجهاد ، وان ديننا الحنيف دين عمـل

وجهاد ، لادين رهبنة وتصوف وتعبد فى الصوامع او الصحارى وانــه يـدعو الى رفع منزلة العباد والى سعادتهم لا فى الدار الاخرة فقط بل وايضا فى هذه الحيـاة الدنيـا

وقد حدت بنا هذه الاهداف التى اخترناها ، وهذه المشاريع الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية التى نحن بصددها أو سننجزها أو انجزناها ـ حدت بنا الى ان نغير من اوضاعنا التشريعية فى كل ميدان بما يناسب المقاصد التـى قصدناها وكان كل ما أدخلناه ، خلال هذه السنوات الاربع الاولى فى عهـد استقلالنا ، من اصلاحات على هيكلنا التشريعى صادرا عن شعورنا العميـق واقتناعنا الراسخ بأنه ـ كما قال محمد اقبال : « على المسلم اليوم عمل شاق عليه ان يعيد النظر فى الاسلام كله دون انقطاع عن الماضى ».

الاســلام ديــن الحياة

فالاسلام ان كان دين العقل اولا فهو دين الحياة أيضا . والحياة رقى مستمر قد جعلها الله فى آن واحد دائمة متحولة وقارة متحركة : هي دائمة قارة فـى أصولها وسننها المستمرة ومتحركة بطبيعتها فى واقعاتها واحوالها المتغيرة . ولا سبيل لان يبقى الاسلام قويا حيا ، ولا ان تبقى امة اسلامية قوية حيـة اذا نحن جهلنا هذا الاصل الاساسى .

وقد ادرك ذلك علماء الاسلام فى عصور الازدهار حين فهموا ان حركة الاسلام وتطوره لايكونان الا بالاجتهاد واعمال الفكر الحر واعادة النظر فى كل مـا تحجر وتجمد من الشرائع ، وكل ما اصبح غير مسايـر لمقتضيـات الحيـاة المتجددة وغير مطابق للملابسات الواقعية المتطورة ، لذلك لم نتردد فى الاقدام على الاصلاحات المختلفة التى ادخلناها فى ميدان التشريع المتعلق بالاحوال الشخصية من زواج وطلاق وتعدد زوجات وغيره وكذلك لم نتردد هـذه السنة ـ ونحن فى حالة الجهاد الاكبر من اجل القضاء على التخلف وتوفيـر اسباب الرقى والمناعة والعزة للمسلمين حتى يلتحقوا بركب الامم المتقدمـة القوية ـ لم نتردد بمناسبة حلول شهر رمضان الاخير فى الدعوة الى التوسيع فى باب الرخص واعمال الراى فى فهم المقصد والنتائج من عبادة الصوم التى زاغ فيها الناس عن الاصول القارة والسنن الجوهرية وشابوها بفاسد العادات حتى صيروها قيدا وعقالا وتعلة للكسل وسببا من اسباب قعود المسلم وضعف الاسلام وتوقيـف الجهاد وتعطيـل العمل والانشاء وقـد بينا فى ابانه كـل ماتمسكنا به فى اجتهادنا فى هذا الباب من اصول اسلامية جوهريـة واقوال نبوية وافعال محمدية لايمكن أن تعارضها اقوال فقهاء الجمود والجحود الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم والله يسخر مما هم يصنعون .

وقد قمنا بجميع هذه الاعمال الاصلاحية ـ ونرجو من الله العون عـلى استكمالهـا بمثلهـا فى المستقبـل ـ ونحـن واثقـون من مـرضـاة اللـه ومن مرضاة الضمير لاننا مؤمنون بان خدمة الاسلام الحقـة هى تلك التى تعيد

له مجده الماضي كقوة تجديد للحياة في الارض وكقوة تحرير للطاقة الفكرية الانسانية ، وقوة فتح وسلطان للفكر البشري على الكون • وبالتالي هي تلك التي تعيد للامم الاسلامية منزلتها المحترمة بين الامم كقوات فعالة لرقي الحضارة في العالم •

وما كنا لنتوقف او نتمهل في القيام بهذا الواجب الاكيد ، لاننا نعلم ـ حسب الكلمة المأثورة عن الامام الشافعي ـ « ان الوقت سيف اذا لم تقطعه قطعك » وان فوزنا كأمة عربية مسلمة بفرض حقوقنا وحرمتنا وكرامتنا ، هو رهينة سرعتنا في التحرك والتجدد والتقدم ورهينة سبقنا للزمان •

معنى الاستقلال

فالاستقلال قبل كل شيء مسؤولية يجب اقامة الدليل على استحقاقها بالكفاءة والمقدرة على الحكم وباستطاعة فرض احترام النظام والامن ، والا فهو مهدد بجميع الاخطار من تدهور اقتصادي وانقسام سياسي ورجوع الى الفوضى• والاستقلال هو بدون شك حق طبيعي ولكنه في حاجة الى أن يقوم بنفسه على قدميه وان يفرض كيانه ، بفاعليته وسداد أعماله ، ووجاهة مثاتيه ، واضطلاعه بمسؤولياته في المجتمع • والا فهو عرضة الى ان تتلاعب به الايدي الاثيمة والى أن يجادل في شرعيته الاستعماريون ويعارضوا في استحقاقه •

◆ **حول عددنا الممتاز « الثورة الكبرى »**

نورد في مايلي بعض ما وصلنا من التعاليق على عددنا الممتاز حول « الثورة الكبرى »

تلقينا الجزء التاسع من السنة الخامسة من مجلة الفكر الصادرة عن بلدكم الشقيق فشكرنا لكم توالي ارسالها وقد كنا نقرا في بعض اجزائها وجه تونس العربي المسلم غير انا اصبنا في هذا العدد بخيبة امل عندما قرانا للسيد محمد عبد الرزاق مقاله (كيف نخرج من التخلف) وهو مقال كان يمكن ان يغتفر نشره للناشرين لو صدر عن قلم احد اعداء الاسلام من المستشرقين بغية اطلاع المسلمين على ذوى الاقلام المأجورة من خدم الاستعمار للتوقي من سمومهم القاتلة اما وكاتبه عربي وربما ادعى لنفسه الاسلام « فهذا مالايغتفر لها بحال » •

والغريب ان تعمد المجلة الى اصدار مثل هذا العدد الذى لايشرف تونس ولا يعكس وجهها الناصع فى ظروف وقف فيه المسلمون صفا واحدا امام تيارات الملاحدة ودعاة الاستعمار مما يجعل بايدى اعدائهم - فى امثال هذا المقال - معولا هداما .

على ان صاحب المقال - فيما يبدو - لم يفهم الاسلام ولم يدرك واقع مبادئه الصالحة لكل زمان ومكان . وكلما لقنه افكار والفاظ رددتها حناجر المستشرقين والملاحدة لتشكيك المسلمين بقيمة مبادئهم السامية ليتسنى لهم تركيز دعامات استعمارهم فى افكار الشعوب المسلمة « ونحن نحاشى (فكر تونس) ان تكون طرفا فى ذلك .

محمد رضا المظفر
رئيس منتدى النشر - النجف

حضرة السيد محمد رضا المظفر المحترم
رئيس منتدى النشر بالنجف الاشرف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت رسالتكم ذات الرقم 252 بتاريخ 3 محرم الحرام 1380 - المتعلقة بمقال مجلة الفكر (كيف نخرج من التخلف) - وقد اطلعت على فحواها مكبرا الدافع لكتابتها والذى هو على ما اعتقد قدر مشترك بيننا جميعا كمسلمين ندين بدين واحد نعتز به وندافع عنه .

غير اننى استسمحكم فى ايضاح بعض المئاخذ على رسالتكم من حيث الشكل ، وبذلك اكون قد قابلت صراحتكم بمثلها ، وتشرفت بالاشتراك معكم فى المحافظة على جوهر الاشياء .

جاء فى رسالتكم قولكم « وقد كنا نقرأ فى بعض اجزائها وجه تونس العربى المسلم غير انا اصبنا فى هذا العدد بخيبة امل الخ ...

واننى لا اعتقد - ولا اظنكم تعتقدون - ان راى شخص تسمح له ثقافته او فلسفته ان يفكر تفكيرا ما يستطيع مهما اوتى من بلاغة وفصاحة ان يغير بما يكتب وجه تونس الدولة العربية الاسلامية بماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ومن هنا كانت خيبة الامل فى وجه تونس كله بسبب هذا المقال فيها شيء من الغلو خصوصا وان كاتبه لايمثل الا رايا شخصيا وليس هو باحد المسؤولين .

وقد جاء فى رسالتكم ايضا قولكم « وهو مقال كان يمكن ان يغتفر نشره

للناشرين الخ ... » وانا اوضح لكم في خصوص هذه النقطة ان مجلة « الفكر » هي مجلة ادبية ربما لاحظتم بانفسكم مستواها الادبي الذي يجعل تداولها محصورا في طبقة معينة من المثقفين تتجادل وتتناقش على صفحاتها ، وقد يظهر من بين هذه الطبقة من ياتي براى يعتبره آخر من نفس الطبقة شاذا او غير صالح فيتصدى للرد عليه ، ومن باب الصدف نجد بنفس هذا العدد من المجلة مقالا آخر بعنوان « لماذا انا مسلم وكيف انا مسلم » وهو مغاير تمام المغايرة للمقال المعنى برسالتكم ، بل كانه جاء للرد عليه ، ومع هذا فقد اغفلتم هذا المقال ولم تشيروا اليه بكلمة واحدة ، بل لم تحاولوا ان تتصوروا منه وجه تونس ان كان ولا بد من تصور وجهها من خلال مقالات مجلة الفكر .

وهكذا تدركون ان المجلة كما ذكرنا هي عبارة عن منتدى فكرى لتناقش الراى ، وقد يكون عنوانها كافيا للدلالة على مهمتها .

وكم كان يسعدنا لو اتصلنا منكم برد موضوعي تناقشون به صاحب المقال وتقارعون به ادعاءه بالحجة والدليل ، ونحن مستعدون لابلاغ ماتكتبون الى المجلة لنشره .

ثم ان هذا الاستغراب يكون غير ذي موضوع اذا ما وضعنا المقال الذى كتبتم من اجله ومقال السيد غديرة الذى اشرنا اليه في كفتي ميزان والحال انهما في عدد واحد من المجلة .

وعلى كل فنحن شاكرون لكم هذه الروح الاسلامية الصريحة .

ولكم اخلص تحياتنا والسلام

عبد السلام بوقطفة ــ بغداد

ملحق : قبل ان اضع هذه الرسالة بالبريد اطلعت على رسالتكم منشورة على صفحات جريدة « الثورة » الغراء ولذلك فقد داخلني الشك في ان الموضوع نقد اخوى بناء نزيه كما تصورته اول الامر ، وخشيت ان لايكون القصد منه سوى التشهير ، وعلى كل اعود مرة اخرى لاحمل الموضوع على احسن الاحتمالات راجيا ان لايكون غير ذلك .

واذ الاحظ لكم انني اجبرت على نشر هذا بعد نشركم لرسالتكم ، اجدد لكم تحياتي

• جامعة القرويين تحتفل بذكراها المائة بعد الالف

احتفلت جامعة القرويين بعيدها المائـة بعد الالف ، وليس بدعـا ان تتجه الانظار اليوم من مختلف جهات العالم الى هذا « المسجد الجـامعة » فقد ظلت بالفعل مكان اعتبار واكبار من لدن سائر الذين عرفوها من قريب او بعيد ·· اهتم بها الملوك المغاربة ، وتنافست على منبرها وكراسيها واسطواناتها ملوك افريقية ، والاندلس ··· وورد المرابطون فوسعوا من رحابها ورصعوها بأجمل الصور ، وكان الموحدون فأبدعوا فى تأثيثها ··· وورد بعدهم المرينيون فكانت كعبتهم المحببة ، وفى اعقابهم حكم الوطاسيون الذين ضاقت ايامهم الا عن شيء واحد هو الالتفات الى القرويين وتعهدها ، ومن بعدهم كانت امنية السعديين الوحيدة ان ينالوا رضى هذا الحرم الامين ، ويأتى العلويون الذين فتحوا قلوبهم لها وتباروا فى كل ما يجلب عطفها ···

كل هذا يعرف عن القـرويين ، واكثر من هذا ان المـؤرخين الذين عنـوا بتاريخ المغرب خصصوا جانبا مهما من مؤلفاتهم للحديث عن هذا المسجد ، عدوا ابوابه ، وسواريه ، ومصابيحه بل وقراميده وزليجه ··· وليس هذا فقط لان القرويين جامع تقام فيه الصلوات فقد عرفت فاس مئات من المساجد ··· ولكن لان القرويين الى جانب ذلك عرفت منذ اول يوم بأنها مركز للعلماء والفقهاء ، فهم الذين اشرفوا على نصب قبلتها الاولى ، وبرأى رجالها كان الملوك يسترشدون وتحت ضغط فقهائها شهدنا عبر التاريخ دولا تختفى ، واخـرى تنبعث ·· تقرأ تاريخ المغرب وافريقية والاندلس ، واحيانا تاريخ الكنانة ، والشام والحجاز والعراق فتصافح هذا الاسم عيونك ·· وتتساءل عن القرويين التى تضلع منها فلان ، وتخرج عنها فلان ولكن القرون الطويلة لا تلبث ان ترفـع الستار عن بعض اطراف هذا العملاق المتعالى الذى يقوم فى صميم مدينة فاس

نسمع كثيرا عن تاريخ المغرب العلـوى ولا يمكن ان نتصور هذا التاريـخ منفصلا عن فاس ونسمع عن اطراء فاس ولكن الناس يفهمون لمن يـوجه هذا الاطراء فهو لايعنى شيئا غير جامع القرويين ومن اجـل هذا كـانت القرويين مفخرة كل مواطن مغربى سواء أكـان بيته بالشمال او الجنـوب او الشرق او الغرب ، واذا كـان الفضل يرجـع الى تماسك اجزاء المغـرب ، وعروبتـه الى المذهب المالكى الذى ساد فى اطـراف البـلاد منذ ايـام الادارسة ، فان هذه القرويين ظلت قلعة حصينة للمالكية بها يحتمى الفقهاء ، ومنها يكيلون ضرباتهم للخصوم الاخرين الذين كانوا يناهضون مذهب الجماعة ·

بين دروب فاس الملتوية ، وازقتها الضيقة ، واسواقها الصاخبة ، وبـين

عشرات المصانع والمعامل والدكاكين ، تنزل الى فاس وتصل الى سماط سوق العطارين او سوق الشماعين او ساحة الصفارين ولاتلبث ان تتلقى اشارة من هاديك الى باب عظيمة من ابوابها ، وان وقفة قصيرة امام باب الشهود ، اوباب الورد ، او باب الصالحين او باب الحلفاء او باب الحصة مثلا لتعطيك نظرة على عظمة البيت فعلامة الدار على باب الدار كما يقولون ! ومع هذا ستشعر بالهيبة تتملكك متى دخلتها وطفت بصحنها الفسيح واروقتها العديدة وفسقياتها التاريخية ومحرابها الصيفى ، وساعاتها الشمسية والرملية ، والمائية ، والحديثة كذلك ٠٠٠ ومتى دخلت قاعة الصلاة بها ووقفت على السوارى الزناتية ، والمرابطية ، والبلاط الاوسط الذى يضم الاجراس « الاسيرة » المحمولة من اسبانيا والذى يضم قبابا سطلاكتيطية (مقرنصة)قال عنها رجال الآثار : انها الاولى من نوعها فى العالم ، هذا البلاط الذى يختتم بالمحراب المرابطى الذى كسا من ظاهره وباطنه باروع الخطوط وابدع اللوحات ٠٠٠ ستجد نفسك امام منبر تاريخى تعاقب عليه مائة وثلاثون خطيبا من جلة العلماء يحمل عشرات الرسوم الفنية التى يختلف بعضها عن البعض الآخر ، وهنا ستعيش لحظات اخرى مع فنانين من اوائل القرن السادس وهم يتحدون بفنهم وهندستهم مقاييس الفنون الحديثة .

وتعرج على ابواب الرواح الثلاثة ، وكل واحدة منها تثير عجبك واعجابك ، وتستوقفك بعدها باب الحلفاء الصفرية وقبة جامع الجنائز وتيجان السوارى المرمرية ذات الزهور المفتحة وتميل ذات اليمين او ذات اليسار لترفع ببصرك الى (الحلوة العليا) التى كانت معتكفا لرجال العلم ، والصلاح ، والملك جميعا٠٠ والى « الحلوة السفلى » التى تشرف على نهج سبع لويات ٠٠٠ وبعد هذا تتسرب الى الخزانات العلمية ٠٠٠ خزانة بنى مرين ٠٠ وخزانة السعديين ٠٠ وخزانة العلويين ٠٠ وهنا تقف مشدوها امام هذه المئات من المخطوطات التى اسهم بها الاقدمون فى المحافظة على كيان العروبة والاسلام ٠٠ او على كيان الفكر بهذه البلاد ٠٠٠ هنا العلوم الدينية ٠٠٠ وهنا العلوم الانسانية كما يدعوها العصر الحديث وهنا كذلك العلوم الطبيعية والعلوم البحتة٠٠وهنا كل شىء٠٠ وعلى رق الغزال ٠٠ وفى اتقان منقطع النظير ٠٠ والمتصفح لهذه المخطوطات سيمكنه ان يقف على مختلف المذاهب التى كانت تلتطم على اسطوانات القرويين ولكنك اذا كنت تريد ان تتبع لوائح ميزانية القرويين لشعرت بضنك محقق فان كل الملوك ، وكل الموسرين بل وكل الضعفاء كذلك كانوا يتوقون الى شىء واحد ، ذلك ان يخلدوا اسماءهم فى سجل الذين وقفوا على مصالح القرويين٠٠

لقد كانت امنية « الغنى الصالح » ان ينعم بكريمة يصاهر بها عـالما من علماء القرويين ! وكان فى العبارات السائرة على السنة التجار متى ماسئلوا عن جودة بضاعتهم وقيمتها كانوا يقولون :« الصح فى القرويين » وهم يعنون ان ما عدا القرويين هباء » وليس يصح ان تنشد الجودة والمتانة فى غيرها !



وكان الملوك والرؤساء يشعرون بلذة ما عليها من مزيد عندما يجلسون الى جانب عالم صالح من هذه القرويين يستمعون الى نصحه ووعظه ، واحيانا الى تأديبه ، فكانوا يبكون ولكنهم مـع ذلك يستزيدون مما يبعث عـلى البكاء ٠٠ وبقدر ما كان العالم بالقرويين عزوفا عن النفاق والمخاتلة بقدر ماكان الملوك يقربونه ويعتبرون ذلك قربانا لله ٠٠ واسأل كل زاوية ، وكل سارية ٠٠٠ وكل مكان ٠٠٠ وكل مصباح ٠٠٠ كل نقش ، وكل زخرف ٠٠ فستجد هناك عظيما من العلماء ٠٠ او ملكا من الملـوك او عالما من العلماء ٠٠ او حكيمـا من

الحكماء .. لقد كان المغرب يعتمد عليها في اعداد اطاراته .. فمنها يرضى رغبات المتعلمين والمستقضين ، ومنها عرف المغرب سفراءه ووزراءه .. ومنها بعث بهداته وقادته الى المدن والجبال والصحراء ...

واذا كان العزم قد قر من اجل « بعث » القرويين واستعادة شبابها فانه برور بالتاريخ عظيم ، يستحق القائمون به كل فضل وكل تقدير ...

واذا استجاب حقا عهد الاستقلال لاصداء تلك القرون فهو انما يبني المستقبل على اساس من الماضي الحافل الذي ارتكز على العلم والاخلاص والتطور والمسايرة ...

عبد الهادي التازي

◆ اخبار الفكر في العراق

شرع الاستاذ زكي جميل بوضع دراسة عن الخدمات الاجتماعية في الاسلام:
انتهى الاستاذ كوركيس عواد من وضع عدد من فصول كتابه الجديد (تواريخ البلدان العراقية) ويتناول فيه المدن العراقية المهمة منذ اقدم العصور ولاسيما الاسلامي .

سيتقدم الاستاذ الناقد يحيى الجبوري برسالة عن الشاعر « كعب بن زهير » الى جامعة القاهرة ليحصل على الماجستير في النقد الأدبي .

استانف المجمع العلمي العراقي بحث مصطلحات التربية والنظر في عدد من الطلبات حول تخصيص هدايا للمتفوقين من المتخرجين في كليتي التربية والآداب

بات من المقرر ان تتأسس رابطة ادبية تضم الشباب فقط من السادة الادباء والشعراء : جليل ابراهيم العطية ، عبدالمحسن عقراوي ، خالد علي مصطفى ، غازي الاحمدي ، آمال الزقاوي ، فخري عباس ، فتحي الجواري ، عبد العزيز القديفي وستتقدم بالطلب خلال الشهر القادم باسم « رابطة الادباء الشباب العرب »

انتهى الاستاذ جليل ابراهيم العطية مؤخرا من تاليف كتاب قيم في (المقام العراقي) سيصدر قريبا اثبت فيه ان المقام العراقي هو اول الغناء العربي واوضح تاريخه من عصر اسحاق الموصلي حتى العصر الحاضر وذكر اسماء البارزين في غناء المقام ولم يترك تسجيل اي شيء يتعلق بالمقام دون ذكره .

زكي جميل الجبوري
الحلة ـ عراق (22 تموز 1960)

◆ ذكرى « الن بو » جامعة يايل

احيت جامعة يايل بمناسبة مرور 150 سنة على مولد ادغار بو حفلة تذكارية عرضت فيها مخطوطا لاشهر قصائده « الغراب » وقد ظهر في المعرض صورة غراب محنط كان من قبل في حيازة تشارلز دكنز وهو الذي اوحى لبو قصيدته الخالدة المذكورة .

• مكتبة الكونجرس فى وشنطن

نمت مجاميع مكتبة الكونجرس فى وشنطن خلال السنة المالية المنصرمة (ابتداء من ١ تموز (يوليو) 1958) فبلغ عدد ما فيها من القطع الادبية والفنية 919 ر 905 ر 36 قطعة .

وهذه المجموعة تتألف من 475 ر 411 ر 11 كتابا ورسالة ، و 836ر687ر15 وثيقة مخطوطة و 843ر969ر2 من الصور السلبية و 286ر387ر2 خريطة جغرافية و 572ر988ر1 قطعة موسيقية و 879ر582 صورة فنية و 868ر414 من « الكتب الناطقة » او كتب العميان . اما الباقى فهو عبارة عن مجموعات من الجرائد المجلدة وافلام مسجلة ولافتات وغير ذلك . وقد اضيف الى مجموعات المكتبة خلال هذه السنة 280ر787 قطعة من اصل ملايين القطع التى دخلت المكتبة .

وجاء فى التقرير السنوى الذى وضعه حافظ مكتبة الكونجرس فى نهاية عام 1958 ان مبنى المكتبة الكبير الذى ابيح دخوله للزوار منذ 61 سنة قد دخله 000ر700 خلال السنة المنصرمة .

كتب وردت الى المجلة

- جامعة القرويين ـ بقلم عبدالهادى التازى (المغرب)
- غـن معى ـ بقلم رضا الخوينى (تونس)
- حضارة عام (1957) ـ منشورات عويدات (لبنان)
- تطور المجتمعات البشرية ـ منشورات عويدات (لبنان)
- الرومنطيقية فى الادب الفرنسى ـ منشورات عويدات (لبنان)
- الشعر العربى فى المهجر الامريكى ـ بقلم وديع ديب (لبنان)
- نحو جديد ـ بقلم وديع ديب (لبنان)

تدريس لغات الشعوب الاسيوية والافريقية فى المانيا :

هامبورج ـ ا م ١٠ ـ نشرت اخيرا مجلة « الثقافة » الالمانية لمحة عن برامج تدريس اهم اللغات التى تتكلمها الشعوب الاسيوية والافريقية ، فى الجمهورية الاتحادية ، سواء كان ذلك بواسطة الحلقات الدراسية التى اعدت للمبتدئين والمتقدمين ، او بواسطة الجامعات الالمانية • وتأتى فى طليعة هذه اللغات ، اللغة العربية التى تدرس فى 14 جامعة المانية • وتدرس اللغتان التركية والايرانية فى 12 جامعة ، واللغة الهندية والاردية والتامل فى 7 جامعات ، وتلعب برلين الغربية وبون دورا هاما فى تدريس هذه اللغات ، وتدرس اللغة الصينية فى 13 جامعة المانية ، واليابانية فى 12 منها ، وتعتبر مدينتا ماربورج وبون اهم مراكز تدريس هاتين اللغتين • وتدرس فى جامعة هامبورج عشر لغات افريقية ولا تدرس اللغات الافريقية والاسيوية فى المنطقة الالمانية السوفياتية الا فى جامعتين فقط وهما ، جامعة لايبسيج وجامعة برلين الشرقيـة •

• المـراعى الخضراء

« المراعى الخضراء » مسرحية وضعها مارك كونلى عام 1930 ففازت بجائزة بولتزر • وسيجرى تمثيلها هذه السنة فى المهرجان المسرحى الذىسيجرىفى مدينة البندقية ، فى الخريف القادم • وسيتـولى تمثيلهـا جوقة زنجيـة اميركية • وهذه المسرحية تبدى مشاهد من العهد القديم كما رسمها قمـن زنجى لابناء طائفته •

• مدينة بتسبرغ ويوبيلها المئوى الثانى

ستحتفل مدينة بتسبرغ فى اميركا وهى مدينة الفولاذ باليوبيل المئـوى الثانى لتأسيس هذه المدينة الصناعية الكبرى • وبهـذه المناسبـة وضـع الموسيقار الاميركى بول هندميت ، الاصل اوبرا غنائية تولت تقديمها جوقة بتسبرغ الفنية ، فنالت ترحيبا حارا من قبل نقاد الفن •

• اكاديمية الاداب والفنون فى اميركا تنتخب 12 عضوا جديدا

انتخبت الاكاديمية الوطنية للاداب والفنون فى اميركا 12 عضوا جديـدا ضمتهم الى عضويتها بينهم عدد من كبار المؤلفين والفنانين والموسيقيين • اما الاعضاء الجدد من الكتاب ، فهم = جونـا بـارنز ، ول دوارانـت ، جانت فلانر ، دوروني باركر وكارل شابيرو •

ويمثل فى النقش بينهم جان دومـاركو ، كما يمثل فن الرسم والتصوير فيليب افرغود ، جوليان ليفى ، لورين ماكيفر وولتر ستمبفيغ • وهندسة تجميل المدن تتمثل فى ميكل رابوانـو ، كمـا يمثل الموسيقى بينهـم مـارك بتلزستاين • ومع الاعضاء الجدد يبلغ عدد اعضاء الاكاديمية الوطنيـة 240 عضوا من اصل 250 عضوا فى الاساس •

اجتماع علماء الاثار الالمان ببرلين لوضعهم جدول اعمالهم لهذا العام

١٠ م٠ ١ ــ عقد اخيرا كبار علماء الاثار الالمان اجتماعهم السنوى ببرلين عاصمة المانيا ، وقد اموه من جميع انحاء المانيا الغربية ٠ وقد قدم خلاله كورت بيتل نفسه لزملائه بعد انتخابه مديرا لمعهد الاثار القديمة فى برلين دالــم ، وكان يعمل حتى المدة الاخيرة فى استانبول ٠ وحضر الاجتماع ايضا مديرو المؤسسات الاثرية الالمان فى خارج المانيا مثل انقـره ، واثينـا ، وبغـداد ، واستنبول ، والقاهرة ، ومدريد ، وروما ، وطهران ٠ وجرى خلال ذلك وضع جدول اعمال التنقيات الاثرية فى الخارج لعام 1960 وتناول فى مقدمته ثلاث مهام رئيسية ٠

فقد نظر اولا فى قضية مساهمة علماء الاثار الالمان فى انقاذ الاثار الفرعونية القديمة فى المناطق التى سوف تغمرها المياه فى الاقليم المصرى بعد تشييـد خزان السد العالى ، وكانت منظمة اليونسكو قد اخذت هذا الامر على عاتقها وقد اصبح يتوقع علماء الاثار الالمان ان تقوم منظمة اليونسكو باشراكهم فى القيام بهذه المهمة فى الاقليم المصرى ٠

وجرى البحث ايضا فى قضية الاستفادة مـن الاكتشافات الهامة التـى اختتمتها احدى البعثات الاثرية فى اراضى النوبه ، وعثرت خلالها على اثار فرعونية فى تلك الاماكن ، يعود تاريخها الى ماقبل اربعة آلاف عام ٠ هذا ونظر ايضا فى امر التمهيد لاعمال التنقيب عن الاثار فى منطقة الكردستان فى بقعة تبعد اربعمائة كيلو متر غربى تبريز ، وقد تقرر ان يشرع فى العمل هناك فى وقت قريب٠ويأمل علماء الاثارالالمان ان يكتشفوا هنا قربانالنار المقدس القديم، وسلسلة من مستعمرات السكن التى يرجـع تاريخهـا الى العصـر الحجـرى الحديـث ٠

وبحث فى الاجتماع البرلينى ايضا امر متابعة اعمال التنقيب الاثرية فـى منطقة الاولمب اليونانية ، حيث عثر اخيرا على بعض الاثـار الثمينـة مـن البرونز بين انقاض المعابد اليونانية القديمة ، كما عثر ايضا على بعض اثار مدينة مونيجا فى اسبانيا بالقرب من سيفيليا ، وهى مدينة يرجع تاريخها الى عهد قياصرة الرومان المتوسط ٠
وقد تقرر متابعة التنقيب فى مناطق الحضارات القديمة على الشاطىء الاناضولى من البحر الابيض المتوسط وذلك فى المنطقة التى تقع بين برجامون وديديما٠ وسو فيقوم البروفسور بيرنيجر الذى كان يدير المعهـد الاثرى ببرليـن بالاشراف على اعمال التنقيب هناك ٠ وسيشرف البروفسور فايكرت ايضا على اعمال الحفر فى منطقة ميليت فى الاناضول ، وكانت قد بـداءت اعمـال التنقيب على الاثار هناك منذ عام 1899 ، وهى لاتزال تجرى حتى اليوم ٠